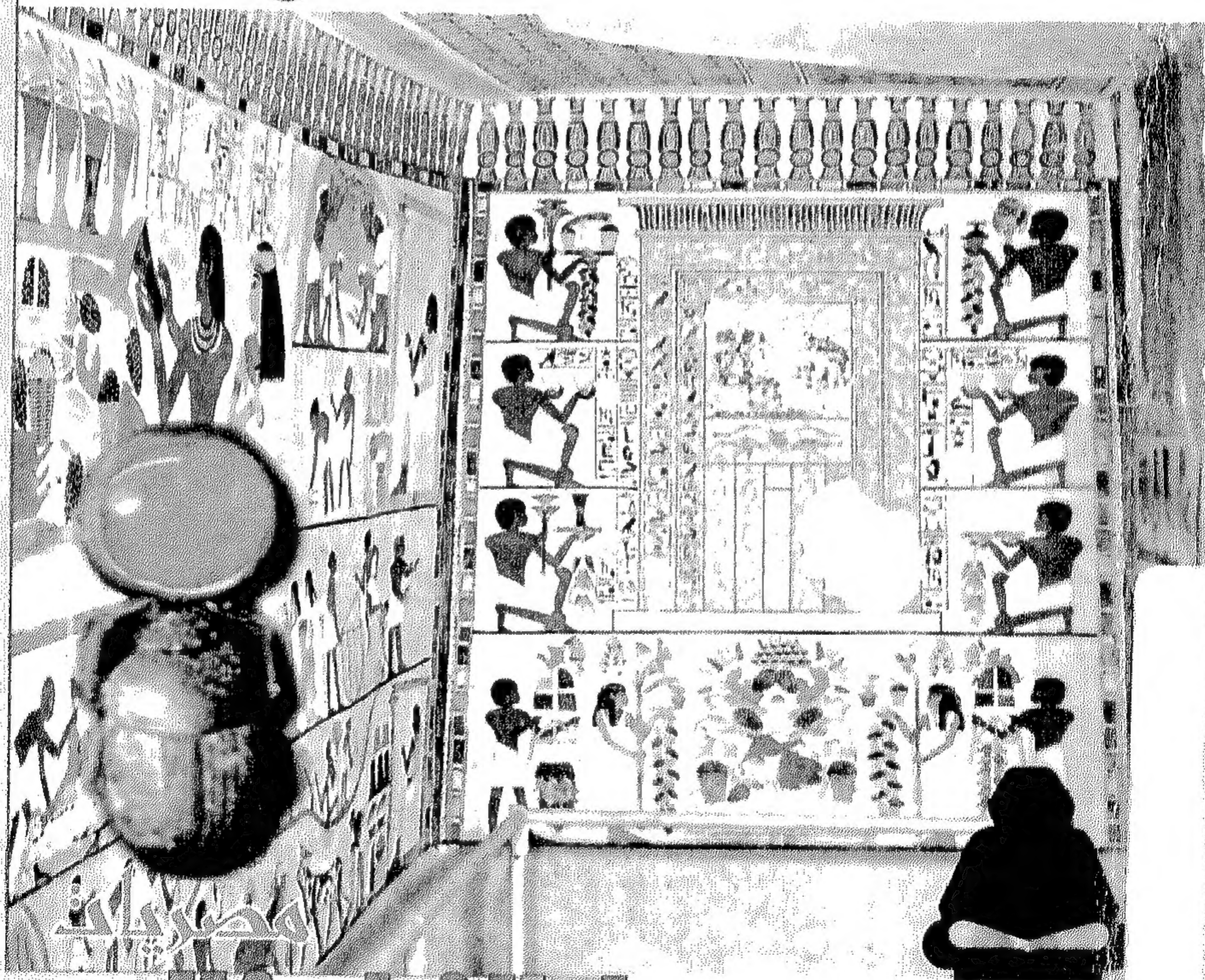




محمد عبد الحميد بسيوني

آداب السلوك عند المصريين القدماء



مهرجان القراءة للجميع

هيئة المصرية العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

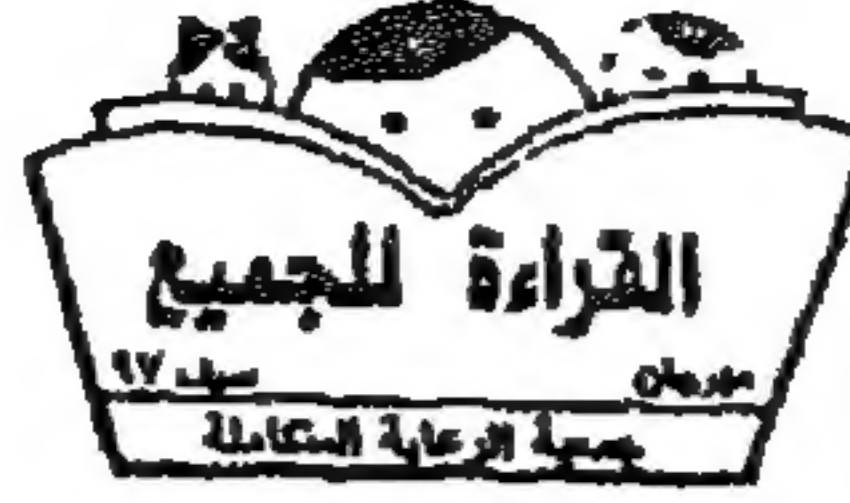
أسرة المرحوم/شارل كرتيه

الاسكندرية

آداب السلوك عند المصريين القدماء

آداب السلوك عند المصريين القدماء

محمد عبد الحميد بسيوني



مهرجان القراءة للجميع ٩٧
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأعمال الإبداعية)

آداب السلوك عند المصريين القدماء
محمد عبد الحميد بسيوني

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

الغلاف

الإشراف الفني

للفنان: محمود الهندي

المشرف العام

د. سمير سرحان



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وأن مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر
الواعد تقدم صفحات متألفة من متعة الإبداع
ونور المعرفة مصدر القوة في عالم اليوم..
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا
الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

● منذ تسلط اوزوريس على ارض مصر .. رفع
عنها الفاقة والحياة الهمجية .. بارشاده اياها الى روح
الاجتماع وسر الحياة .. فهدب العالم كله .. وادخل
اليه المدنية والتقدم بغير استعمال السلاح .. بل باستعمال
اشرف فنونه .. واحلاها .. وهى .. الادب ..
الموسيقى .. الشعر ●

كاتب فرعونى

مقدمة

هذا الكتاب .. يضرب على وتر السلوك والأخلاق
عند قدماء المصريين من خلال نصوصهم وتعاليمهم ..
ونصائحهم .. فكيف استطاع مصريو السبعة آلاف سنة
أن يرسموا نهجا سلوكيا طيبا نابعا عن أصالة أخلاقية
ضاربة في عروق هذا الشعب .. هذا من جهة .. من
جهة أخرى كانت لتجارب المصري الكثيرة واحتكاكه المباشر
بالمشاكل الأثر الكبير في رسم سلوك طيب لمن بعده ..
ولكن .. لا يزال المعروف حتى الآن عن سلوك وأذواق
وآداب المصريين .. أقل مما كان ينتظر من أهله ذوى
الكفايات الواسعة .. فى عالمي الذوق والأخلاق والفكر
الأدبي .. ذلك يدفع الى الاعتقاد بأن أرض مصر لا تزال
تحتفظ بكنوز أخرى .. قد تكشف عنها الأيام ..

.. الغريب أن أى تفسير أو ترجمة لسلوكيات

واذواق وأدب المصرى القديم .. لن تبلغ من نفس القارىء
المعاصر .. بنفس ما كانت تؤثر به فى نفوس أصحابها
القدامى حين دونوها بلغتهم وتذوقوها بروحهم ..

.. قد يجمع هذا السلوك وتلك الأذواق فى طياتها
الكثير من التعاليم والحكم والمعالم .. التى توضح لنا بداية
طريق مفروش بالدوق الناصع والأدب الممزوج بالسماحة
.. وتحفة نصائح تحكم المصرى القديم وتوجهه الى طريق
الصواب .

وهذا ما أردته .. والله الموفق ؟

محمد عبد الحميد بسيونى

الآداب المصرية

سجلت الآداب المصرية على صفحات البردى واللخاف
بخطوطها التي عرفناها .. الهيروغليفى الهيراطيقى ..
منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد .. والديموطيقى منذ
القرن السابع قبل الميلاد .. ثم القبطى منذ القرن الثانى
للمسيح .. وظلت لغتها على مدى آلاف طويلة من السنين
واحدة متصلة فى أساسها .. ولكن مع تمايز خفيف
وتطور يسير فى نحوها وأساليبها وهجاء كلماتها بين كل
عصر وآخر من عصور تاريخها الطويل .

فبدأت آداب الدولة القديمة فى بداوة وجفاف حينما
.. وفى جزالة وعتجبية حينما آخر نتيجة لارتباط بعضها
بتعبيرات ونصوص ورثتها عن عصور ما قبل التاريخ ..
وارتباط بعضها الآخر بتواليف الكهنة البعيدة بعض الشيء
عن حياة الناس الفعلية وخلجات نفوسهم .. واستقرت
تقاليد الآداب فى الدولة الوسطى وتميزت بالنقاء والصقل
والوضوح .. ثم تضمنت الآداب فى عهد العمارنة مختارات
من لغة الحديث الدارجة واعترفت بها .. وأدت هذه

الخطوة الى افساح مجالات التعبير أمام آداب عصور الرعامسة
لاسيما مع انتشار التعليم فيها .. وكثرة ما تقبلته من
الفاظ شرقية دخيلة وأخيرا حاولت العصور المتأخرة ..
أحياء أساليب الدولتين القديمة والوسطى فى بعض
نصوصها .. عسى أن تنعكس عليها أمجاد أهلها .

أما عن الحدود الزمنية لفروع الأدب المصرى ..
فليس من اليسير القطع بها لا سيما فى أول أطوارها ..
فلا شك فى أن أهل ما قبل التاريخ .. الذين لم يحرفوا
الكلمة المكتوبة .. ولم يتركوا لنا أدبا مدونا .. كانوا
يستمتعون على الرغم من ذلك بالقصة الشفهية .. والأغنية
الشعبية .. والبطولات المروية .

**وفى هذا الكتاب أتناول فيه جانبا من جوانب
السلوك عند قدماء المصريين فهناك النصيحة التى يوجهها
.. آباء مثقفون .. ومعلمون من الكهان والمتدينين .. ثم
أدباء انتحلوا لأنفسهم سمات الآباء تارة .. وسمات
المعلمين تارة أخرى .. وتفاوتت المستويات الاجتماعية
لهؤلاء .. فكان منهم أمراء ووزراء .. جنبا الى جنب مع
أفراد من أواسط الكتاب والكهان .. ذلك مما يعنى أن
الحكمة لم تكن وقفا على طبقة معينة من الناس دون
الأخرى .. وقد تلاقت سبلهم فى ثلاث نواح .. وهى ..
أن أغلبهم نسب نصابه الى خبرته الشخصية وتجارب
أسلافه أكثر مما نسبها الى وحى السماء وأوامر الأرباب ..**

وأن كلا منهم حاول أن يتجاوب بتعاليمه مع الأوضاع التي
ارتضاها الفراعنة .

.. فهناك بتاح حتب .. الذى كان وزيرا من القرن
الخامس والعشرين ق.م ومن أقدم أصحاب التعاليم ..
وفى سياق حديثه صور لولده سبيل الاستقرار فى الأسرة
قائلا له .. « اذا أصبحت كفتا كون أسرتك .. وأحب
زوجتك .. حدود العرف . أو عاملها بما تستحق ..
أشبع جوفها .. واستر ظهرها .. وعطر بشرتها بالدهن
العطر فالدهن ترياق لبدنها . وأسعدوها ما حييت ..
فالمرأة حقل نافع لولى أمرها .. ولا تتهمها عن سوء ظن
.. وامتدحها تخبت شرها .. فان نفرت راقبها واستمل
قلبها بعطاياك تستقر فى دارك .. وسوف يكيدها أن
تعاشرها ضرة فى دارها » .

.. وفى مقابل قيامه بهذه المسئوليات الأسرية ..
دعاه الى سبل التنعم مع البساطة والتوسط قائلا له ..
« ساير نفسك ما حييت .. ولكن لا تتجاوز العرف ..
واياك أن تبتر ساعة المتعة .. فالنفس تأبى أن يفسد
وقت متعتها .. ولا تستنفد من شئون اليوم أكثر مما
يعول دارك .. وعندما يواتيك الثراء ينبغى أن يستمتع
القلب .. فلن يجدى الثراء اذا أهمل القلب .. وكن
سمح الوجه مامت حيا .. فان ما يخرج من الشونة لن

يعود فيدخلها .. « ومن أطاع هواه انتهى الى الثمن دون
سواه » .

.. وقد شارك بتاح حوتب بعض شهرته في الدولة
القديمة وزير آخر ريبا كان يدعى كا ارسو .. كتب تعاليمه
لأولاده .. ولولده الأكبر « كايجمنى » على وجه الخصوص
.. وكان من طريف قوله وهو يدعو الى أن يؤثر العمل
على الكلام .. « دع سمعتك تزكو وفمك صامت .. تدع
الى أعلى المناصب .. وقوله وهو يدعو الى القناعة والتحكم
فى النفس » .. اذا جالست قوما .. فتعفف عن الطعام
ولو كنت تشتهييه .. فانها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها
.. وقد خسأ من شره جوفه .. واذا جالست نهما فكل
عندما تنتهى شهيته .. واذا شربت مع سكير فشاركه
حين يبلغ كفايته .. فالمرء اذا برىء من ملامة الطعام لن
تسوءه كلمة » .

.. وقال : ان قدحا من الماء يروى علة الظامى ..
وملء الفم من حشائش الأرض يقيم أود القلب .. ورب
حسنة تقوم مقام الخير كله .. ونزر يسير يغنى عن الكثير
كله .

بعد ذلك أراد الحكيم الأديب « آنى » من أهل القرن
السادس عشر ق.م أن يرشد ولده الى مقومات السعادة
فى الأسرة .. فقال له : « تخير زوجتك حين الصبا
وأرشدتها كيف تصبح انسانة وعساها تنجب لك طفلا ..

فانها اذا أنجبتك لك وأنت شاب استطعت أن تربيته وتجعله
رجلا .. وطوبى للرجل .. اذا أصبح كثير الأهل ..
وأصبح يرتجى من أجل أبنائه » .

ثم قال له : « لا تقس على زوجتك فى دارها ان
أدركت صلاحها .. ولا تسالها عن شىء أين وضعه ..
اذا تخيرت له وضعه الملائم .. افتح عينيك وأنت صامت
تدرك فضائلها .. وان شئت أن تسعد .. فاجعل يدك
معها وعاونها .. يجهل كثير من الناس كيف يمنع الانسان
أسباب الشقاق فى داره وقد لا يجد أحدهم مبررا للنزاع
فيعمل على خلقه .. بينما يستطيع كل انسان أن يوفر
الاستقرار فى داره اذا تحكم سريعا فى نزعات نفسه ..
ولكن احذر أن تمشى فى طاعة أنثى .. أو تسمح لها بأن
تسيطر على رأيك » .

.. وقال وهو يوصى ولده بصراحة الحديث ..
« اياك ألا تقاوم الالتواء فى داخلية نفسك .. ثم دعاه الى
التبصر حين الخطأ .. وحين الجواب قائلا : ان جوف
الانسان أوسع من شونتى الغلال الملكيتين يتسع لكل جواب
.. فتخير خير الحديث وتكلم صوابا .. واحتفظ بسيئه
فى جوفك » .

وكان من طريف تأديبه له بأداب الدعاء .. قوله ..
ادع بقلب محب .. ولا تجهر بصوتك يستجب الاله
لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل قربانك » .

يأتى بعد ذلك شيخ أمنوبى .. الموظف الأديب
المتدين .. فى فترة ما من القرن العاشر أو التاسع قبل
الميلاد .. وقد تحدث فى مقدمة تعاليمه عن أغراضه منها
.. أن تكون هاديا لقارئها الى السعادة ومرشدا الى قواعد
مخالطة الخلق والكبراء وتقاليد أهل البلاط .. ومعرفة
الرد شفاهة وكتابة مع كل من يحادثه ويراسله فضلا عن
راحة ضميره وحسن سمعته بين الأقارب والأغراب .

ولما كان الشيخ أمنوبى قد عاش فى عصر . شاهد
الحكم الثيوقراطى .. واشتدت فيه نزعة التدين .. وكان
قد هيا ولده لمنصب ذى صلة بمعبد .. لذا اصطبغت
تعاليمه بروح التقوى والورع والدعوة الى خشية الاله
والثقة بعلمه وعدله والايمان بقضائه وقدره .. وقال
لولده .. « كن رصينا فى تفكيرك وثبت فؤادك ولا تتعود
على أن تجدف بلسانك .. ولا تفصلن فؤادك عن لسانك
تصبح مشروعاتك كلها ناجحة .. وثمة شئ آخر محبوب
الى الرب وهو التروى قبل الكلام .. »

.. وكان من قول الشيخ أمنوبى .. أنه ..
شتان بين الكلام الذى يقوله الناس وبين ما يفعله الاله ..

وعمل الأديب أمنوبى على أن يصرف ابنه عن التبرم
بالحياة .. وتخوف المستقبل .. قائلا له : لا تقل ..
ان اليوم أشبه بغد .. فالام ينتهى هذا ؟ .. كلا .. فالغد

آت .. واليوم منقض .. وقد تصبح اللجة الفائرة حافة
للأمواج » .

ولا تقض الليل متخوفا من الغد .. قائلا عندما يطلع
النهار .. كيف يكون الغد ؟ .. فما يعلم انسان ما سيكون
عليه الغد .. والاله دائما فى فلاح (تدبيره) والانسان
دائما فى خيبة ظنونه » .

.. ولا تتبرم بالفقر .. فان رامى السهام اذا اندفع
الى الأمام هجرته جنوده حين الخطر .

ودعا المتدين أمنموبى ابنه الى احترام كبار السن
وعلل ذلك بتعليل لطيف قال فيه : « لا تسب من يكبرك
سنا .. فانه قد شاهد نور الاله .. دعه يضربك ان شاء
ويدك فى خاصرتك .. ودعه يسببك ان شاء وأنت
صامت .. »

.. كن ثابتا أمام غيرك من الناس .. فالانسان فى
مأمن فى يد الرب .. والرب يمقت من يزور فى الكلام
.. وكبر مقتا عنده النفاق .. ولا تخصص عنايتك لمن
اكشى بنوب قشيب .. وتقبله فى الأسماان .. ولا تتقبل
رشوة من صاحب نفوذ أو تظلم مقصور اليد من أجله ..
فالعادل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء .. فالرب
يحب اسعاد الفقير أكثر مما يحب تعظيم النبيل . »

.. وعلى نحو ما وضحت المشابهة والتأثير بين
أناشيد اخناتون وبين مزامير العبرانيين وضح تأثير مشابه
من تعاليم الشيخ امنموبى على تعاليم اليهود فى سفر
الأمثال فى اللفظ والمعنى .. بل وفى تقسيم الفقرات
أيضا .

.. لقد شارك المعلمون والأدباء المعترفون الآباء
المثقفين أيضا فى تعاليم الحكمة والتهذيب وكان أكثرهم
حديثا معلمو وأدباء عصر الرعامسة .. وقد أراد أحدهم
أن يزكى النخوة والنجدة فى نفس تلميذه وقارئه ..
فقال له :

« اذا رجاك يتيم مسكين اضطهده آخر وود هلاكه ..
فسارع اليه وقدم المعونة اليه .. اجعل نفسك منقذا
له .. فمن أعانه ربه حق عليه أن يعين كثيرين غيره .. »

.. وقال أيضا : « حرر غيرك اذا وجدته رهن القيد
.. وكن حاميا للضعيف .. فلقد قيل ان الحسنى لمن
لا يدعى الجهل بآلام غيره .. »

.. وقال أيضا : ايا ما كانت خبرتك بالكتب ..
وكنت متعمقا فى التعاليم .. فعليك أن تحترم الغير حتى
تحترم .. وأحب الناس يحبك الناس .. ولا تبالغ فى
أحاديثك .. »

يجىء بعد ذلك آخر أصحاب التعاليم .. الكاهن .

الحكيم فى عين شمس عنخ شاشنقى .. عاش فى القرن
الخامس قبل الميلاد .. وذاق مر الحياة أكثر مما تذوق
حلوها .. ولكنه ظل مؤمنا .. صابرا .. واختلط
بأوساط مختلفة من عامة الناس وخاصتهم .. تضمنت
تعاليمه كثيرا من الأمثال والتعبيرات الثائرة .. وشاء سوء
حظه أن يتهم بالتستر على مؤامرة ضد الفرعون .. كان
براء منها .. ولكنه سجن .. ولما أحس دنو أجله كتب
تعاليمه فى السجن وأرسلها الى ولده وضمنها مقدمة عن
بلواه .

.. ومن طريف تعبيراته .. ما يقول فيه : « لا تلف
كثيرا حتى لا تتوقف » . ولا تتخم نفسك صغيرا .. حتى
لا تتراخى كبيرا .. ولا توقد نارا لا تستطيع إخمادها ..
ومن حزن مع أهل بلده فرح معهم .. ولا تجعل لنفسك
صوتين .. وقل الأمر الواقع لكل انسان .. واسمع لمن
عمل ما كلف به بأن يرفع صوته .. واعط الشغال رغيفا
تأخذ رغيفين من كتفيه .. ولا تكره انسانا لمجرد رؤيته
مادمت لا تعرف حقيقة خلقه .. ولا تكره من يقول لك أنا
أخوك .. واعلم أن العزلة خير من أخ شرير .

.. ومن حكيم أساليبه وتعبيراته فى الزيجات :
نعمة الممتلكات زوجة حكيمة .. لا تهجر امرأة فى دارك
لأنها عقيم .. لا تقتل خية وتترك ذيلها . إنما تنكح الزوجة
برغبة زوجها .. من نكح زوجة على سرير .. نكحت

زوجته على الطين .. من نكح امرأة جاره نكحت زوجته
على عتبة داره .. تخير زوجا عاقلا لابنتك .. ولا تتخير
لها زوجا ثريا .

.. العجيب أن لهذا الحكيم آراءه الخاصة ..
فيقول : زوج ابنتك لصائح .. ولكن لا تزوج ابنتك
لابنته .

وفى أدب الحديث يقول : .. قد يستر الصمت
حمقا .. وقد يفضل البكم زلق اللسان .. وآية الحكيم
فيه .. وإنما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق .. ولا تقل
انى عالم وتفرغ للعلم .. رفيق الغبى غبى .. ورفيق
الحصيف حصيف .. ورفيق الأبله أبله .

وأخيرا .. يقول عنخ شاشنقى فى النجدة ..
لا تكن ساقط الهمة حين الشدة .. وافعل الخير وارمه
وسط البحر .. وإذا فعلت معروفا لخمسمائة انسان
وراعاه واحد فحسبك أن جزءا منه لم يضع ..

ويقول : لا تشاور عالما فى أمر تافه .. ولا تشاور
جاهلا فى أمر جلل .. ومن وعى ما تعلمه تفكر فى زلاته
.. فشل كريم خير من نصف نجاح .. الموت خير من
الحاجة .. من هز حجرا وقع على رجله .. من سرق متاع
آخر لن يبارك له فيه .. يسرق السارق بالليل ويقبض
عليه بالنهار .

ايبو العجوز

عرفنا من مصر القديمة أيضا نوعا جديدا فى أدب
النقد .. وأساليب التوجعات .. فالمعروف أن الدورة
التاريخية الأولى لمصر قد انتهت فى أواخر القرن ٢٣ ق م
بثورة طبقية صور أخبارها من وجهة نظره حكيم يدعى
« ايپوور » أو ايپو العجوز .. وقد حفظ المصريون آراءه
.. ووصفه لأحداث عصره وحكايته مع فرعونه وبلاطه ..
ورددوا قصته أجيالا طويلة .. ثم سجاها على صفحات
البردى .. وبقيت من صورها بردية كتبها أديب من الدولة
الحديثة .. وتعرف الآن اصطلاحا باسم بردية ليدن. ٣٤٤
بعد ان انتقلت الى متحف ليدن .

.. وضاعت للأسف بداية البردية ونهايتها ..
ولكن يفهم مما بقى منها أن صاحبها قسمها الى فقرات
.. وحاول أن يبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات
متشابهة .. فبدأ فقراتها الأولى بأسلوب الحكاية .. وردد
فى بداية كل واحدة منها عبارة اصطلاحية تعنى ما تعنيه
عبارة .. « حقا لقد حدث كذا وكذا » .. ثم أخذ يخاطب
جمعا من الناس قد يكونون أهل البلاط فى العاصمة
بفقرات متصلة .. بدأ كل واحدة منها بقوله : تأملوا كذا
وكذا .. وبعد أن أشبعهم من الاستثارة .. عاد الى
الحكاية مرة أخرى فى مجموعة فقرات بدأ كل واحدة منها
بقوله .. خرب أعداء العاصمة الكريمة كذا وكذا ..

وعلى العموم . . كان ايبوور مصلحا ما فى ذلك من شك
. . وكان يدرك مفاسد الحكم فى عصره ما فى ذلك من
شك . . أيضا . . هذا راجع لكونه من طبقة ارسقراطية
قديمة وكان يتمنى أن يتأتى اصلاحها من داخلها أو بوحى
فرعون حازم مصلح . . ولهذا اختلط الاخلاص فى
روايته بالمبالغة . . واختلط التحسر بالأمل .

. . ومع كل فقد نجح ايبوور فى تصوير حيرة الناس
فى عصره . . بأنهم كانوا رجالا ثلاثة : رجلا يعلم ما حدث
ويوافق عليه . . ورجلا يجهل تماما . . وثالثا : علم
بما حدث ولكنه لا يدري ان كان خيرا أم شرا . . وعلى أثر
ذلك كره بعض الناس دنياهم وآثروا الانتحار سواء
لضياع حقوقهم القديمة . . أو لأسفهم عما أصاب المعابد
والمقابر . . أو لأسفهم عما أصاب بلدهم من اضطراب
لم يعرفوا علاجه .

وعبر ايبوور عن رأيهم بقوله : ولى وانقضى ماشهده
الأمس . . وبقيت الأرض لسوء حظها . . ألا ليت ذلك
يكون نهاية الناس . . فلا يحدث حمل ولا ولادة . .
وتهدأ الأرض من الضجيج . . ولا يكون هناك متخاصمون
. . وقد أصبح الكبير والصغير يتمنيان الفناء . . وأصبح
الأطفال يقولون ليت آباءنا لم يهبونا الحياة . . وغصت
التماسيح بما أصبحت تقتنصه بعد أن ذهب الناس اليها
من تلقاء أنفسهم .

وعلى الرغم مما صوره ايبوور .. فان الثورة حركت
ضمانر الحكام الى الاصلاح ودعت الى التفكير فيما ينبغي
أن يكون عليه سلوك الحكام .. وشجعت على مواجهة الملك
بعيوبه .. وأدت الى نشأة طبقات جديدة تعتز بالعصامية
أكثر مما تعتز بالأحساب والأنساب .

ومن ثورة ايبوور .. الى القسوى الفصيح .. الى
توجعات « نفررجو » الى تأملات خع خبررع سسنب ..
الكاهن الأديب .. فهو من عين شمس .. اشتهر باسم
عنخو ناجى قلبه .. وكان صريحا فى نقد أوضاع البلاد
.. ولكنه ترك توجعاته دون أن يتنبأ بحل لها .. بدأها
بمقدمة توحى بحرصه على التجديد .. ورغبته فى عدم
التقليد قال : هلم فؤادى اذن .. أحادثك وتجيبنى على
حديثى .. وتفسر لى كنه ما يجرى فى هذه الدنيا .. فانى
لأتفكر فى أحداث وبلايا جدت اليوم .. والكل عنها صامت
.. والأرض كلها فى خطب عظيم .. وما من انسان يبرأ
من الخطأ .. فالناس جميعهم قد ارتكبوه .. وقلوبهم
هواء .. ولكن من يصدر الأمر .. ومن يصدر له الأمر .

.. فما أطول وأثقل همى .. حيث لا قدرة لمقهور
على أن يحمى نفسه ممن هو أقدر منه .. والواقع انه بينما
يعز الصمت عما يسمع .. وتصعب الاجابة على جاهل ..
الا أن النقد أصبح يولد العدا .. وما من قلب يتقبل قولة
حق .. وما عاد انسان يحتمل رد كلامه .. وانما يلوك

كل فرد حديثه .. وكل انسان يبنى رأيه على عجل ..
وهجرت الصراحة الأحاديث .. ولكن ..

هأنذا قد حكيت لك فؤادى .. فأجبنى .. حيث
لا صمت لقلب مقدام .

وقبل أن أختتم كلامى عن علاقة الأدب والأسلوب فى
مصر القديمة .. أحب أن أعود الى الحكيم عنخ شاشنقى
.. عندما نعى ضياع الحق فى بلده الى رع فى عبارات
تقطر الما .. قائلا :

إذا غضب رع على أرض نسى حاكمها العرف

إذا غضب رع على أرض عطل القانون فيها

إذا غضب رع على أرض أبعد الطهر منها

إذا غضب رع على أرض عطل العدل فيها

إذا غضب رع على أرض سقطت الأقدار فيها

إذا غضب رع على أرض ضاعت الثقة فيها

إذا غضب رع على أرض رفعت جهلتها وخفضت عليتها

إذا غضب رع على أرض جعلت أغبياءها فوق علمائها

تلك نماذج بسيطة من سلوك المصرى القديم ..

تشهد على الرغم من قلتها وقدمها البعيد وصعوبة التعبير
عن الفاظها .. على عقليات ناضجة وأحاسيس نابضة
وأذواق مرهفة .

السلوك .. وآداب المتون المصرية

صورت المتون المصرية وآدابها جانبا من سلوك المعاملة بين الأب وأبنائه .. وبين سلوك الأم .. ألقت متون الأهرام الضوء على هذا السلوك فى عبارتين .. يدعو الأبوان بهما ولدهما الأكبر حين مقدمه عليهما .. فالأم لا تزيد عن أن تقول له .. جميل .. ما أجملك .. أما الأب فانه يرى فى ابنه ما يرجوه لفته .. فيناديه .. ورشى ..

على أن المتون المصرية تكشف عن أن حزم الأب كان يتجه أحيانا الى الحد من الملاينة المتبادلة بين الأم وولدها .. وتكشف من ناحية أخرى عن أن حنو الأمومة لم يكن يصرف المصرية عن اسهامها بنصيب واضح فى تنشئة ولدها التنشئة الطيبة التى تيسر لها فى بيئتها .

● فهذا والد من الدولة القديمة يحض ولده على الجدية والحزم .. فيذهب بهما الى قوله :

« طوبى له من كان جادا ازاء أمه .. فهو جدير بأن يصبح جميع الناس له تبعا » كأن الرجل عنى بما يترتب

على اللين من ضعف الشخصية. . . أو أن التفريط في البيت يعقبه تفريط خارجه .

● ومن الدولة الحديثة : يصف أحسن الأول أمه
اعج حوتب بأنها العاتلة رخت رخت وذلك مما يؤكد حصافة
توجيهاتها . . وعظيم أثرها في حياته وحياة أخيه من قبله
. . وثمة عبارة في تعاليم عنخ شاشنقى . . لو صحت
القراءة التسالية لها . . لكنت اعترافا بكرامة الأم أمام
أولادها . . يقول فيها الحكيم المصرى :

« لا تضحك ولدك وتبكيه على أمه . . تريد أن
يعرف أهمية أبيه . . فما ولد فحل من فحل » . . أى من
غير أم .

ومن ثم جاء السلوك التربوى على السنة الحكماء . .
« أولاد الأحق يزرعون الطريق وأولاد الحكيم يستقرون
من ورائه . . »

~ ثم يجىء الحكيم بتاح حوتب ليكمل السلوك
التربوى فى قوله لولده :

« اذا نضجت وكونت دارا . . وأنجبت ولدا من
نعمة الرب . . واستقام هذا الولد ونهج نهجك . . ووعى
بعائمهك . . وصلحت أحواله فى دارك . . وحفظ ثروتك
نما ينبغي . . فالتمس له الخير كله . . وتحرك كل شأن

فاضل من أجله .. فانه ولدك .. وقلدة كبدا ..
فلا تصرف عنه نفسك » .

ثم يقول له : لا تقل (يا) ولد لمن نضج .
ولا تتجاهل من جانبك من كبر .

كذلك نلمح السلوك التربوي في تعاليم حور دد
لابنه آوت اب رع .. وتعاليم الفرعون خيتي لابنه مريكا
رع .. وتعاليم خيتي دواوف لابنه بيبي .. تعاليم الفرعون
امنمحات الأول لابنه سنوسرت .. تعاليم سحتبايب رع
لأولاده .. تعاليم آتي لابنه خنسو حوتب .

.. لقد تقدم كيف كان المصريون يرون من واجب
الأب الحكيم أن يطلب المعرفة بنفسه بغية أن ينفع بها بنيه
.. وكان من الأبناء من يصف أباه بمثل هذه الصفة
فيقول :

« لقد علمني أبي ما يعرفه .. وهذبني مالا حصر له
من المرات » ..

فن الحديث .. والسلوك التهذيبي

وعلى هذا أقول .. قارب المصريون كثيرا بين السلوك
التهذيبي وبين الأدب .. بحيث كان الحكيم لديهم .. هو
من يحسن الارشاد ويجيد فن الأسلوب والكلام في آن

واحد . . فتعاليم بتاح حوتب التى عنيت أساسا بالأخلاق وقواعد السلوك واعتبرت حكما واجبة الاتباع . . « الحسن لمن أصغى إليها . . والشقاء لمن حاد عنها » عنونت على أساس أنها آيات من جيد الكلم « ستون مدت نفرت » . . أو الموعظة الحسنة . . قالها بتاح حوتب فى هداية الجهلة الى المعرفة . . والى قواعد الحديث الطيب .

الغريب أنه جاء فى مقدمة هذه التعاليم اذا جاز هذا الاسم . . انه لما طلب بتاح حوتب من فرعون أن يأذن له بصياغتها لتثقيف ولده . . قال له الفرعون : « علمه الحديث بادىء ذى بدء . . لعل الطاعة أن تتلبسه . . ويقوم عقله كل ما يقال له . . فما من مولود تفقه . . » أى فهم كل شىء من تلقاء نفسه .

وظلت تعاليم بتاح حوتب تدرس خلال الدولة الوسطى حتى عصر الأسرة (١٨) وربما فيما بعد ذلك أيضا . . على أنها دروس فى الأدب . . والكلام الجميل . . ودروس فى الأخلاق والسلوك فى آن واحد . . ولقد تضمنت بالفعل ما يكفل للدارس التبصر بآداب السلوك . . والتعرف على قواعد الخلق الطيب . . كما تضمنت ما يكفل له ثروة طيبة من التعبيرات الراقية . . يستطيع أن يتمثل بها فيما يكتبه وفيما يتحدث به . ويحتمل أنها كانت مما يحفظه التلاميذ بغية التشبع الأخلاقى والأدبى . . ويزكى ذلك تعاليم حورددف التى تنتمى الى الدولة

القديمة . . ظلت مما ينبغي حفظه حفظا مرتباً حتى عصر
الرعامسة . . مما يدل عليه قول حورى لزميله . . « لقد
ذكرت لى حكمة لحورددف . . ولكنك لا تدري طيبة كانت
أم رديثة . . والا فأى فصل يسبقها وما الذى يتلوها .

ولم يقتصر السلوك الأخلاقى على تعاليم بتاح حوتب
وغیره من شيوخ مصر القديمة . . فالى جانب هؤلاء كانت
لتعاليم آنى وأمنموبى مكانة خاصة لاذكاء التهذيب
السلوكى والتثقيف الأدبى معا .

وثمة تقارب بين النصائح الخلقية والسلوكية . .
وبين الأدب فى موضوعات أخرى قصيرة تضمنتها كراسات
تلاميذ عصر الرعامسة . . « اياك أن تحرك فمك لتقسم . »

. . لا تقترب الذم . . واحذر الزلل حين الحديث
. . واحرص على أن تظل هادئاً كالحارس وإذا عبرت فى
سفينة ادفع لها أجرها وزيادة وكافىء الصانع يخدمك . .
. . اذا أثريت وواتتك المقدرة . . وتعهدك ربك . .
فلا تكن جهولاً ازاء قوم تعرفهم بل احترم كل انسان . .
حرر غيرك اذا وجدته مقيداً . . وكن معيناً للعاجز فلقد
قيل طوبى لمن لا يتصنع الجهل .

اذا رجاك يتيم مسكين يضطهده آخر ويبغى هلاكه
. . فسارع اليه وهبه شيئاً واعتبر نفسك منقذاً له . .
فمن أعانه ربه وجب عليه أن يحيى كثيرين غيره .

- الى جانب هذا اعتبر حكماء مصر الفرعونية ..
الفصاحة وسرعة البديهة ولباقة الأحاديث مواهب يمكن أن
يتصف الأمي بها كما يتصف بها المتعلم .. وذلك على نحو
ما أكد حكيمنا بتاح حوتب حين قال : « ان الكلمة أو
الموعظة الطيبة .. وان تكن أشد استخفاء من الزبرجد
الا أنها قد توجد مع الاماء العاملات على المراحى .. وعلى
نحو ما تعمدت قصة القروى الفصيح أن ترسل الحكمة
والموعظة على لسان رجل من عامة الناس .

واذا قمنا بسياسة مرة أخرى داخل صلب تعاليم
حكيمنا بتاح حتب .. نلاحظ أن هناك فقرتين متتاليتين
تدعوان الى أمر واحد .. وهو توقى الجشع .. وقسوة
القلب ولكن .. بينما عالجتاهما فى حزم وتركيز
.. بسطته الأخرى فى تشويق وتفصيل فقالت احدهما :
« لا تقس قلبك حين القسمة .. ولا تبتغ ما لا يخصك ..
ولا توغر قلبك ازاء أقاربك .. فإن التماس الوديع أجدى
من تصرف العنيف .. وانه لتافه ذلك الذى يستأسد بين
أهله وهو محروم من حصائد الحكمة .. والشئ الطفيف
الذى يطمع فيه يولد البغضاء حتى فى صاحب الطبيعة
الباردة .. »

وقالت الفقرة الأخرى : « اذا أحببت أن يجمل
سلوكك .. وأن تبرىء نفسك من كل سوء .. فأتق
لحظة جحود القلب .. فانه داء وبيل مستعص .. ولن

تنشأ ثقة به .. وهو يعكر صفو الصديق الصدوق ..
ويقصى الثقة عن مولاة ويسىء الآباء والأمهات والأخوال ..
ويطلق زوجة الرجل .. انه مجمع كل الشرور .. وعيبة
لكل ما يعاب .. فأيا رجل استقامت له طريقه وسار وفق
سبيله القويمة .. فهو بذلك يورث .. أما قاسى الفؤاد
فلا مثوى له .. »

فالفقرة الثانية اذن لا تتميز بأسلوب مختلف
فحسب .. وانما بأسلوب قصد به أن يكون أكثر تشويقا
وايضاحا وأفعل فى النفس .. ولكن للغريب أن هذه الفقرة
المبسطة تذكرها النسخ الموجودة للمتن قبل الفقرة
المختصرة وليس بعدها وذلك يدعو الى احتمال أن هذه
النسخ أخذت عن أصل أقدم منها فأساءت النقل عنه
وعكست وضع الفقرتين .. ويزكى هذا الاحتمال . تبديل
مواضع الجمل بين النسخ المعروفة لتعاليم بتاح حوتب
بالذات واضح تماما فى أغلب فقراتها .

السلوك .. والتدين

كان السلوك والتوجيه فى مصر القديمة على خلاف
ما كانت عليه فى بعض الأمم القديمة الأخرى مثل
العبرانيين .. اذ ظلت ترد الى خبرة الانسان وتجاربه
أكثر مما ترد الى أوامر السماء .. ولشئ من هذا عفونت
بعض تعاليم ونصائح الآباء والمربين المصريين .. بعناوير

دنيوية معبرة مثل بداية تعاليم الحياة .. دروس من الحياة .. وذلك على الرغم من التجائها أحيانا الى الوازع الدينى .. واعتبار سبيلها أحيانا سبيل الرب .

فالمطلع على الآثار المصرية .. والنقوش اليومية الخاصة بهم فى المقابر .. يلاحظ ايمانا عميقا بالخلود .. وتصورا كاملا عن عالم الآخرة .. وتدينا تاما .. نلمحه فى الآثار .. فى أدب قدماء المصريين .. فى سلوكهم .. فى معاملاتهم .. فى نصائحهم وسأترك الحديث لشخص يدعى آنى من عصر الأسرة ١٨ .. لكى يدل لك على ذلك ويدون تعليق منى يستهل آنى أحد الفصول بعبارات يستذكر فيها ما سوف يردده أمام القضاء فى العالم الآخر .. قائلا : تحية لكم أرباب قاعة العدالتين الكبرى .. انى اعرفكم .. وأعرف أسماءكم .. لن أسقط خشية منكم .. فلن تجددوا لى ذنبا تبلغونه الى الاله .. ولن تصدر منكم كلمة سوء عنى .. اذا تكلمتم صدقا فى حضرة رب العالمين .. فلقد أحسنت عملى فى بلدى .. ولم أجدف فى حق الرب .. وما صدر أمر مسيء ازانى من ملك زمانه .

.. ثم يبدأ مشهد خاص يحاور فيه آتوم رب الخليقة كاتبه ووزيره تحوتى ..

آتوم : تحوتى .. ما الذى جرى بين أبناء نوت ؟ .. لقد

اعتادوا الصخب .. واخذوا في الشقاق .. وارتكبوا
الآثام .. وخلقوا الفتنة .. وأقاموا المذابح ..
وابتدعوا السجون ثم جعلوا الكبار صغارا في كل
ما فعلناه ؟

تحتوي : لن تشهد بعد هذه الشرور مولاي .. ولن تأسى
.. فأعوامهم قد قصفت وطبقت عليهم العقوبة بكل
ما فعلوه .

.. وهنا يتدخل أنى متقربا من تحتوي قائلا له :

آنى : انما أنا لوحتك .. وهذه محبرتك .. أقدمها اليك
ولست ممن ينبغي أن تسحق دواخلهم .. وما يجوز
لهلاك أن يلم بى ..

ثم يلتفت الى آتوم قائلا له :

ولكن ما جلية الأمر آتوم ؟ أرانى فى سبيل الى
القفر والأرض الصموت !

آتوم : حقا انها قفر بغير ماء ولا هواء .. عميقة دفيئة ..
مظلمة موحشة .. لا حد لها ولا نهاية .. ومع ذلك
فسوف تحيا فى راحة فى نفس هذه الأرض الصموت
.. هى أرض لا تمارس فيها شهوات الجنس ..
ولكنك سوف توهب فيها نورانية عوضا عن الماء
والهواء ومتعة الجنس .. وسوف توهب فيها
طمأنينة القلب عوضا عن الطعام والشراب .

آنى : ولكن آتوم .. ما مدى حياتى ؟

آتوم : لقد قدرت لك ملايين الملايين .. فهى حياة من
ملايين .. بعدها سوف أقضى على كل ما خلقتة ..
وتعود هذه الأرض الى نون .. مياه الطوفان ..
كما كانت فى المرة الأولى .

الأدب المصرى بين حلاوة التلوق وسحر البيان

لقد ظل كثيرون ممن لم يدرسوا العلوم المصرية القديمة لا يعرفون عن مصر إلا أنها بلد الموميات (وأبو الهول) والأهرام و « توت عنخ آمون » . فعندما ظهر كتاب الأستاذ « ماكس بيبر » عن الأدب المصرى القديم دهشوا عندما قرءوا عنوانه وسأله بعضهم بشيء من الدهشة .. « أوجد لمصر القديمة أدب قومى كالأدب اليونانى واللاتينى والألمانى ؟ » . وقد كان رده عليهم كتابه المختصر فى الأدب المصرى القديم .

ولا نستغرب من أجنبى عن مصر أن يسأل هذا السؤال اذا علمنا أن السواد الأعظم من المصريين المتعلمين يجهلون أمره ويعتقدون أن أقدم أدب فى العالم هو الأدب الاغريقى وعنه أخذت أمم العالم آدابها .. وقبله كان تاريخ الأدب فى الدنيا صفحة بيضاء ، ولكننا نؤكد لهؤلاء المتعلمين وأشباههم أن لمصر أدبا قوميا قديما وأنه أقدم من الأدب الاغريقى . واذا كانت كتابات « هومر » هى أول وأرقى ما عرف عن أدب الاغريق ، ولا يعلم شيء عن الأدب الاغريقى قبل ذلك .. فان الأدب المصرى معلوم تاريخه

من يوم ان نشأ وحبا الى أن درج ونما ووصل الى نهايته .
ويمكننا أن نعطي مثلا منه في كل أطواره رغم ما نلاقه
من بعض الفجوات في صفحاته ، وسنجد أنه أدب لا يقتصر
على النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ،
ولكنه يتعدى ذلك الى مؤلفات لها قيمتها الأدبية تبث أن
المصرى القديم كان يقدر الأدب ويتذوق حلاوته ويسحر
ببيانه في وقت كان الاغريق وغيرهم من الأمم القديمة
يهيمون على وجوههم وينخبطون في ظلام الجهل من أجل
ذلك فضلنا أن نأتى هنا بكلمة قصيرة عن منزلة الأدب
المصرى بين آداب الأمم التى عاصرتة قبل أن يظهر الأدب
الاغريقى فى عالم الوجود فنقول :

لا شك أن مصر أول بلد ربى فى نفوس أبنائه روحا
أدبية خالصة للأدب ، مجردة عن أى غرض آخر ، فقد
وضع المصرى المؤلفات الأدبية البحتة منذ ٢٠٠٠ سنة
قبل الميلاد لا يريد بها شهوة سياسية أو تأييدا أو نفعا
تجاريا ، وانما يريد الأدب لذاته . . يريد غذاء الروح
واشباع النفس الصافية بسمو التعبير وعلو المعنى .

وكان لمصر تاريخ فى هذا المضمار . . فلم يظهر
الأدب العبرى الا وليدا بعد اثنى عشر قرنا من ذلك
التاريخ ، والأدب البابلى كان يترنح فلم يكن انتاجه مظهرا
خالصا للأدب ولا قصد به خدمة الأدب حبا فى الأدب كما
كان الشأن فى مصر . . فان الأدب أريد به فيها ذلك الذى

يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية كالتى يحسها اذا
استمع الى شذو الشادى او اذا رأى الصورة الجميلة
ونحس التمثال البديع .

والكلام فى الأدب المصرى يقتضى التعرض أولا
لأنواعه ، وثانيا لأساليبه فمن الناحية الأولى نرى أن
الأدب المصرى من النوع الغنائى أو العاطفى وإن النوع
القصصى كان بارزا فيه ، ويلى ذلك الأدب العلمى والحكم
والأمثال (التأملات) . وليس من شك فى أن الأدب
الغنائى والقصصى قد نبثا فى التربة المصرية لأن كلا منهما
يضرب بعروقه الى ما قبل ظهور الكتابة وهو العهد الذى
يشبه العصر الجاهلى فى اللغة العربية . ولا غرابة فى أن
ينمو الغناء والقصص بين قوم تخطوا طور الهمجية وأصبح
لهم مشاعر ووجدان يحتاج الى تغذية . . . وهى ان لم تواتهم
عن طريق القراءة والنظر . . لا تبعد عليهم عن طريق
السمع والرواية ، وكلنا يدرك تأثير القصة الآن فى العامة
وكيف أنها تجذب منهم القلوب والمسامع .

ولم تقصر بابل فى بعض النواحي الأدبية فقد ظهر
فيها الأدب الغنائى والقصصى فى الوقت الذى نبثا فيه فى
وادي النيل ، واذا كانت احدى الأمتين المصرية والبابلية
أسبق من اختها وأقدم انتاجا فان ذلك لا يعنى أن
أحدهما قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بأدبها بل ان كلا
منهما كانت مستقلة فى انتاجها وكان لأدبها مظهر خاص

خاضع للمؤثرات المختلفة في الأدب ومنها البيئـة
والاستعداد الفطري والدين والحضارة .

والظاهر الذي تحدثنا به الآثار أن « بابل » كانت
أكثر خصبا في إنتاج القصص والشعر القصصى لأن الدين
قد أظله فنمت القصة في كنفه وصارت لها أوزان ترجع
الى آماذ بعيدة ، هذا اذا لم تكن قد عملت عوادي الزمن
على محو بعض القصص المصرية من عوالم الآثار أو أبقتها
دفينة في بطن الأرض . . ولم تسمح لها بعد بالظهور
واعتقد أن أحد هذين الفرضين صحيح لأن ما بقى لنا من
الشعر القصصى يدلنا على أنه مظهر لأدب راسخ القندم
متشعب النواحي . . خصب الخيال كثير الأبطال يذهب
الى أبعد مدى في تصوير الآلهة ومقدرتهم وخوارق فعالهم
في كل أطوار التاريخ المصرى ، ولا أدل على ذلك من قصة
مخاصمة « حور » « وست » التى عثر عليها حديثا وأبطالها
جميعا من الآلهة ، وقد كان البعض يعتقد أن الاغريق
وحدهم هم الذين انفردوا بإشراك الآلهة في تمثيلياتهم حتى
ظهرت هذه القصة فغيرت هذا الرأى تماما .

ومهما بلغ المدى الذى ساهمت به « بابل » فى
القصة عامة فإن من المقطوع به أن الأسبقية لمصر فى
اختراع الأقصوصة ، وصياغتها صياغة فنية ممتعة
وتحليلها تحليلا نفسيا مناسبا وتمهيد الطريق للتحليل
النفسى الرائع الذى نراه فى الأدب اليونانى وفى الآداب

الحديث في عصرنا عند مختلف الأمم الراقية على مثل ما ذهب اليه « مارسل بروسست » أو « هنري جيمس » أو « هـ. ج. ولز » مما مثل اتجاهها جديدا في الأدب واكسب التأليف الروائي عمقا في الفكرة ونزعة فلسفية قوية لم تمكن تخلو منها الروايات القديمة ولكنها اشتدت جدا في الزمن الحديث .

هذا ما كان من أمر الأدب القصصي ، أما الغنائي فقد كانت مصر وبابل فيه كفصني شجرة واحدة ، فقد أخذت كل منهما من هذا الفن بنصيب كبير وان كان إنتاج « بابل » حتى الآن أكثر من إنتاج مصر ان لم تكن الأرض تخبيء ما في باطنها على أن القوة والعدوبة كانت متمثلة ظاهرة في مصر على أختها في هذا اللون من الأدب .

— ولقد كان الشعر الديني عند الأمتين حلوا ولا وجه للمفاضلة بين أحسن ما أنتجته بابل وبين ما عثرنا عليه في مصر في عهد الدولة الحديثة .

أما الأدب العبري فقد تخلف عن الأدب المصري في الظهور عشرة قرون ، وقد وصل الى درجة جعلته في مرتبة واحدة مع أحسن ما أخرجته مصر وبابل ، ولم يستطع أن يتفوق عليهما ، وقد استطاع الاغريق الذين أتوا بعد هذا العهد أن ينهضوا بالشعر الغنائي والعاطفي الذي وضعت أسسه في مصر وابتكروا فيه مذاهب جديدة كما فعلوا في كل فروع الأدب الأخرى .

– ننتقل بعد ذلك الى الأدب التعليمي والتأملى وتدل جميع الشواهد على أنه من وحى مصر فالمصريون هم الذين ابتدعوا . . وهم الذين برزوا وقطعوا أشواطاً بعيدة فيه . . وتختلف عن السياق معاصروهم وكان هذا اللون من الأدب محبباً الى الذوق المصرى وقد بقى المصرى عدة قرون مهتماً بالتأليف فيه ساعياً الى تحسينه باذلاً جهداً يتفق ومهارة الكاتب واتساع أفقه الاجتماعى .

– وبقيننا أن مؤلف « بتاح حتب » فى الحكم والأمثال كان نواة لظهور أمثال سليمان وحكمه . . يؤيد ذلك ما اشتهر به المصريون وتحدث به العالم القديم عن براعتهم فى الحكمة وضرب المثل . وقد فصلنا ذلك عندما وازنا بين أمثال سليمان وتعاليم « أمنموبى » فى باب الحكم والأمثال ووصلنا الى أن الأولى قد أخذت عن الثانية قطعاً بأكملها .

– والآن وقد انتهينا من الكلام على موضوع الأدب المصرى ننتقل الى الناحية الأخرى منه وهى أسلوبه ، وقد كان الأسلوب الجميل موضع فخر الكاتب ومحل تقدير القارئ – جاء فى بردية عن أمثال « بتاح حتب » « أنها الأقوال التى صيغت فى أسلوب جميل والتى تحدث بها الوزير عندما كان يثقف بالمعرفة ويعلم مبادئ الحديث الطريف » وجاء فى ورقة « تفررهو » على لسان الملك « سنغرو » يخاطب حاشيته ايتوا لى بانسان يروح عن

نفسى بكلمات جميلة وأقوال مختارة تجد فى سماعها
جلالتى تسلية وراحة .

— واذا قرأنا « قصة الفلاح الفصيح » التى كتبت
قبل عام ٢٠٠٠ ق م وجدناها سلسلة من الأفكار السامية
عن العدالة وحقوق الانسان صيغت فى أسلوب قوى بليغ
بدا منه أن كاتبها أراد أن يظهر قدرته الفنية على جمال
الصياغة وروعة الأسلوب . وهذه الظاهرة التى تجعل
عذوبة الأسلوب هدفا يرمى اليه الكاتب كانت بارزة
واضحة فى مصر مطمورة منعدمة فى بابل جارتها
ومعاصرتها فلا جرم أن كانت مصر أول أمة شغفت بالثقافة
الأدبية وعنها أخذ العالم .

— والأسلوب الذى يهدف اليه المصرى هو الأسلوب
العذب الذى لا تكلف فيه فينسب الى النفوس وترتاح اليه
الاسماع ، ولا بد أن يكون مناسبا للموضوع الذى يعالجه ،
فيقوى ويشتد فى الجلى وعظائم الأمور . . ويلين ويرق
فى التعبير عن العواطف أو الترجمة عن مكنونات الفؤاد .
ولكن هذا الأسلوب الجميل قد دخلت عليه الصنعة بمرور
الأيام فأفقدته روعته وعذوبته وأصابه التكلف والزخرفة
اللفظية وأصبح الأديب يضحي بالمعنى السامى فى سبيل
تزويق الألفاظ كما حدث للغة العربية فى العصر العباسى
الثانى .

ولقد بدأ هذا الفساد يذب في الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى وتظهر بوادر ذلك فى قصة « سنوحى » . ولقد تعلق المصرى بهذا الأسلوب وأشرب قلبه حبه حتى ان التلاميذ فى الدولة الحديثة وبخاصة عصر الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ملأوا كراساتهم نماذج منه يستظفرونها ويأخذون أنفسهم بمحاكاتها حتى يصلوا الى هلكة تمكنهم من الإبانة عما فى ضمائرهم بهذا النوع المزخرف المحبب الى نفوسهم .

وفى ورقة « انستاس الأولى » نرى مثالا لهذه الطريقة الأدبية التى سادت عهد الدولة الحديثة فى صورة خطاب هجائى يعيب فيه كاتبه زميلا له جهله فن كتابة الرسائل ، وضعفه فى الحساب حتى لا يستطيع أن يقدر وزن مسلة ، وعدم درايته بمعرفة أحسن الطرق للسباحة فى سوريا . . . ولعل السر فى شيوع هذه الورقة أنها تحتوى على فكاهات أو نكت لا نستطيعها لاختلاف الذوق بين عصرنا وعصرها ، أو لأن فيها منهاجاً لما يجب أن يكون عليه الرجل المثقف فى هذا العصر ، وهى فى جملتها تدل على نوع من الصلف فى الكتابة . فالأسلوب المصرى كالفن المصرى قد وصل الى قمته قبل حلول الدولة الحديثة ولا يمنع هذا من أن تلمع فيه من وقت لآخر قطع فنية تتذوق فيها حلاوة الأسلوب الفطرى وقوته ولكنها قليلة كما أن الشعر العاطفى لم يودع قوته وتأثيره فى عهد الدولة الحديثة ،

بل بقى جميلا رائعا .. بل ربما غطى جماله فيها على ما سبقه .. وربما كان السبب فى ذلك موجة الرخاء والتشرف التى غمرت المصريين عقب حكم الأسرة الثامنة عشرة ، وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة والعشرين فأطلقت ألسنتهم بالأغاني العذبة والأناشيد المرحية السعيدة مترجمين بها .. عما يذوقونه من حلاوة الدنيا ولذة الحياة . هذا اذا لم تكن الأرض قد خبات فى ثناياها مقتطفات من الشعر العاطفى من إنتاج الدولة الوسطى ، أو ما يجعلنا نعتقد بأن ما نسب الى الدولة الحديثة ليس كله من صياغتها .

● منزلة الأدب المصرى

قال « أندري مروا » الكاتب الفرنسى العظيم فى كتابه : Aspects de la Biographie p. 177.

« ان الأدب لا يقاس بالنمو والتقدم فلا يمكننا القول : أن « تنسون » الشاعر الانجليزى أعظم من « هومر » الشاعر اليونانى القديم ، أو أن « بروسست » أعظم من « منتانى » لأن الأدب ينساب فى نغمة ايقاعية ولا يسير فى خط متصل فلكل من الأدباء وقته وظروفه »

وتكمن قيمة الأدب القديم فى أنه يرينا اللبنة الأولى فى بناء الأدب والجهود التى بذلها الأدباء القدماء فى خدمته

حتى وصل الى مظهره الحديث . فلا وجه للمقارنة بين الآداب القديمة بما فيها المصرى والبابلي وبين الآداب الحديثة اذ ان الثانية نتيجة نمو الأولى وتطورها بين الأدبين فى جملتهما فروق من جهات ثلاث : -

- الأولى : أن الأدب المصرى لم ينتج لنا أدبا نفسيا عميقا كالآداب الحديث .

- الثانية : ان الأدب المصرى قدرته محدودة فى تصوير الجو الذى يناسب القصة .

- الثالثة : قوة التأثير والأسر .

● أما عن الناحية الأولى فنرى أن المصرى لم يهمل التحليل النفسى جملة بل أخذ منه بطرف .. كما نرى فى قصة « سنوحي » المصرى القديم التى حللت لنا ناحية من نفسيته حين نفى عن بلاده واشتاق الى وطنه . ولكن ذلك يعتبر يسيرا اذا قارناه بالتحليل العميق الذى يلجأ اليه فحول علم النفس الآن فى قصصهم الرائعة مثل قصة Daisy Miller التى كتبها « هنرى جيمس » أو قصة الاتصال السامى Die Wahlverwandtschaften التى كتبها « جيته » الألمانى الفذ فى أدبه . ومع ذلك فان التحليل النفسى الذى نقرأه فى قصة سنوحي المصرى خير مما نجده فى قصص « الجن والعفاريت الشائعة » فى آداب العالم عامة ، ولا يضير الأديب المصرى أن تحليله خلا من العمق

والزوعة فيكفيه فخرا انه وضع الأساس وجاء غيره فشيد على قواعده ثم جاء التطور الحديث فأعلى البناء وزخرفه .

● أما الناحية الثانية . . ناحية الجو الذي يخلقه الأديب لقصته أو لموضوعه فينتقل بالقارئ الى العالم الذي يريده . . فهذه أيضا للمصرى فيها نصيب المؤسس الأول ، فان أول مأساة (دراما) وضعت على صورة تمثيلية كانت من فعل الأدباء المصريين وترجع بتاريخها الى عهد الأسرة الأولى (١) .

وهذه المأساة تشبه رواية تمثيل « آلام المسيح » وموته . كما كانت تمثل في القرون الوسطى ولم تصل المأسى التي ابتكرها المصريون في قوتها ما وصلته عند الاغريق . . وفي عصرنا الحاضر ، ولا تقتصر الحاجة الى الجو المناسب عند تأليف القصة أو الشعر القصصى ، بل قد تحتاج اليه أيضا في الشعر الغنائى كما نجد في كتابات « هومر » اليونانى (الاللياذة) وفي كتابات « فرجيل » (الايناد) . وقد وجدنا أثرا لتصوير الجو الأدبى فى الكتابات البابلية (جلجاش) ولكنه قليل . . وليست المأساة المصرية السابقة هي كل ما وصلنا عن هذا النوع فاننا نجد ذلك « الجو الأدبى » مصورا فى قصة

(١) Sethe, Dramatische Texte 24 Altaegy ptischen
Mysterien spielen,

« سنوهى » وفى قصة « ون آمون » اذ ان قارىء هاتين القصتين لا يلبث ان ينتقل مع بطليهما الى سوريا ويرى بعينه ويحكم برأيه . . وقد تكون وسيلة المؤلف ساذجة . . ولكنها على كل حال تحدث الأثر المطلوب وتمتاز عن القصص الأخرى التى فقدت هذه الميزة والتى يقصها مؤلفها ببساطة مثل قصة « الأخوين » وقصة الملك « خوفو والسحرة » وغيرهما من القصص ، واذا كانت هذه القصص الأخيرة بمثابة قطع من الحاروى يستحلبها الأطفال فى أفواههم فان قصتى « سنوهى وون آمون » غذاء عظيم للرجال الرشداً . ولا جدال فى أنهما أقدم قصتين قصيرتين جيدتين فى العالم بآنتا ذخيرة للأدب العالمى وان لم تصلا فى موضوعهما الى نظائرهما فى العصر الحديث .

● بقيت الناحية الثالثة وهى قوة التأثير وشدة الأسر ، وهذه نرجع الى عاملين : الألفاظ والصوت . فان اجتماع اللفظ العذب الرشيق مع الصوت المناسب أخذنا بمجامع القلوب وجذبنا الأنظار والأفكار . أما الألفاظ الجميلة فاللغة المصرية غنية بها ونراها فى موضوع « شجار بين انسان ستم الحياة وروحه » . وفى خطب « الفلاح الفصيح » التى استهوت الملك نفسه ، وأما سحر اللفظ ووقعه فى النفس فقد حرمناه لأن اللغة المصرية تنقصها الحياة والحركة .

● وجملة القول ان مصر كان لها أدب قومى منذ

٢٠٠٠ سنة ق.م وأن هذا الأدب هو وليد حيويتها . ولم
نأخذه عن غيرها أو تتأثر فيه بغيرها وهو وإن لم يبلغ مرتبة
الأدب الحديث إلا أن له فضل الخلق والسبق والتأصيل .

وإذا كان الأدب المصرى قد أخذ يتدهور فى العصور
المتأخرة فانه ترك الزمام للأمة اليونانية كى تحلق بتفكيرها
فى أجواء عالية منه على سنة التدرج طبعا . . فانه ليس
فى مقدور الأدب الأغريقى ولا الفن الأغريقى أن يولدا كاملى
النمو كما ولدت « فينوس » (الزهراء) ناضجة كاملة
النمو فى أمواج البحر ، فالأدب المصرى غذى الأدب العبرى
والأدب الاغريقى فشبا ولعبا دوريهما فى الحياة ونشك
بحق فى مقدرة الأدب اليونانى والأدب العبرى على بلوغ
المرتبة التى وصل اليها كل منهما اذا لم يتخذنا من الأدب
المصرى عوناً على النمو والارتقاء بطريقة لا نزال نجهلها .
للأسف .

مكانة المصرى ٠٠ ومقدار ذكائه

● لقد بقى التاريخ المصرى والأدب المصرى ، وكل ما يتعلق بالحياة المصرية سرا غامضا فى كل العالم حتى بداية القرن التاسع عشر ، أما ما نقله اليونان عن المصريين مدة اختلاطهم بهم فلم يكن الاحقائق مشوهة نقلت بالرواية فضلا عن أن ما وصل إلينا لا يمثل الا جزءا من تاريخ البلاد أيام شيخوختها وتدهورها .

● وقد كان اليونان الذين نقلوا إلينا بعض معتقدات المصريين وعاداتهم الموروثة من أزمان سحيقة ينظرون إليها بعين الاحتقار والرغبة معا لأنها لا تتفق مطلقا مع دنبا حضارتهم . وقد بقى المصريون فى نظر الأوروبيين والمصريين الحاليين كالصينيين الأقدمين .

● ومن المدهش أنه رغم حركة الكشف الحديثة التى قامت فى عصرنا فانهم لا يرالون معروفين بأنهم قوم لا ثقافة لهم ولا علوم ولا آداب كباقى أمم العالم حتى أن المصرى الحديث عندما يريد أن يتكلم عن الأدب فى مصر

لا يذكر شيئا عن مصر القديمة بل يقصر كلامه على الأدب العربي في مصر . وكان مصر منذ فجر التاريخ حتى الفتح العربي لم يكن لها شيء قط من التراث الأدبي يمكن أن يفاخر به أبناؤها كما يفاخر الفرنج بأدبهم الخاص في مختلف العصور ، والواقع أن المصري لا يلام على جهله بأدب بلاده العتيقة وربما يرجع السبب في ذلك إلى عاملين هامين : الأول : أنه منذ الفتح العربي اختفت لغة البلاد جملة وحلت محلها اللغة العربية وآدابها فأسدل الستار على لغة القوم وأصبحت نسيا منسيا . . ولم يبق للمصري مجال في أن يدرس تاريخها وآدابها وبخاصة إذا علمنا أن اللغة قد ماتت . .

العامل الثاني : أنه لما حلت رموز اللغة القديمة . . لم يعتن المصريون بدرسها بل تركوا مجال هذا الدرس للأوربيين إلى عهد قريب جدا عندما بدأ نفر من المصريين يتعلمون لغة البلاد القديمة ، ولكن رغم ذلك فإن معظم المثقفين في مصر أو الذين يدعون أنهم مثقفون ، لا يزالون يعتقدون أن مصر القديمة لم يكن فيها حياة أدبية وثقافة خلقية كالتى عند الشعوب المتحضرة .

على أن المصريين في عهد تاريخهم الأول كانوا على عكس الفكرة الشائعة عنهم إذ كانوا قوما لهم هبات عقلية ، وكانوا متوقدى العزيمة ، ايقاظا على حين كانت أمم أخرى من الأرض لا تزال في سباتها ، ولقد كانت نظرتهم للعالم ملتهبة متوقدة بالمغامرة كنظرة الاغريق

الذين آتوا بعدهم بآلاف السنين . ويشاهد ذلك جليا فيما وصلوا اليه من الأعمال الفنية الواسعة النطاق ، بل يشاهد بوضوح أكثر في أعمال التصوير والنحت التي تبرز الحياة عندهم فرحة ناطقة

- - ان قوما بمواهبهم هذه جديرون بأن يجدوا سرورا في اعطاء أغانيهم وقصصهم شكلا أغنى وفنا أكثر ، وكذلك نمت بينهم من وجوه أخرى حياة عقلية وعالم فكري يبحث فيما وراء الأشياء الدنيوية ودائرة الدين . ومنذ أن اخترع المصريون نظام الكتابة نمت بينهم منذ زمن بعيد مجموعة من الكتابات المختلفة الأنواع تعهدوها بالرعاية . وجعلوا لها صبغة أدبية وللأسف الكثير منا لم يحفل بها ، ولم يعتقد يوما بأن للمصريين القدماء أدبا يعتد به .

ولقد حفظ لنا التاريخ شيئا كثيرا من أعمال التصوير عند المصريين حتى استطعنا أن نكون عنها فكرة تكاد تكون ثابتة لا تقبل التغيير كثيرا . . . على حين أن موقفنا بالنسبة للأدب المصرى - لسوء الحظ - لا يزال مختلفا جدا اذ ليس لدينا منه الا شيء قليل . لأن العثور على مؤلف أدبى يتوقف على مصادفة غير متوقع حدوثها كبقاء ملف من البردى هش فى جوف الأرض من ثلاثة أو سبعة آلاف من السنين . ولذلك لم نثر الا على قطع منفردة كانت بلا شك فى الأصل أجزاء من مجاميع عظيمة من الكتابات على أن كل كشف جديد من ذلك النوع يضيف خاصية جديدة الى الصورة التى صورناها لأنفسنا عن

الأدب المصرى وهذه الصورة أصبحت فى الحملة تكاد تكون صحيحة لأنها تشتمل على سلوكيات وأنماط لها قيمتها الفعلية . . فمن كل مرحلة تاريخية يظهر لنا فيها الأدب المصرى مطبوعا بطابع خاص يميزه عن غيره ويتفق مع ما نعرفه عنها من الحقائق التاريخية .

— وبقدر ما تتسع له طاقتنا من اطلاع على آثار اللغة المصرية القديمة نستطيع أن نقول ان هناك دلائل تدل على أن العناية كانت موجهة الى تنمية اللغة فهى غنية بالاستعارات والتشبيهات أى انها « لغة مثقفة » ، « لغة انشاء وتفكير » للشخص الذى يكتب بها . ومن المحتمل أن أحد كتب الأمثال القديمة على الأقل قد أنشئ فى عهد الدولة القديمة فى خلال حكم الأسرة الخامسة سنة ٢٧٠٠ ق . م تقريبا وهذا هو العصر المعروف لدينا بعصر المستوى العالى لفن التصوير على الخصوص ولكن يظهر أن الرقى التام للأدب المصرى القديم لم يبلغ غايته الا فى العصر المظلم الذى يفصل الدولة القديمة عن الدولة الوسطى .

ولذلك فى عهد الأسرة الثانية عشرة المشهورة ١٩٩٥ - ١٩٧٠ ق . م وكتابات هذا العصر ظلت تقرأ فى المدارس خمسمائة عام ولم يجرؤ أحد أن يحيد عن لغتها أو أسلوبها فى الكتابة . والخاصية التى يمتاز بها هذا الأدب القديم ظاهرة فى الولوع بالتعابير الممتازة . . ولا نستطيع أن نسمى ذلك تصنعاً . . وحلاوة الألفاظ مع عذوبتها ، كانت تعد صناعة عالية لا بد أن يبذل الانسان

جهدا ليصل اليها • ويشاهد كذلك أن هذا كان حقيقة
ميل هذا العصر من نقوشه التي طالما كان يقوم بتأليفها
جماعة من المتعلمين ، فانها كانت تكتب بالأسلوب
المزخرف •

وبعيد عن الصواب أن يقال أن كل مجهودات هذا
العصر كانت موجهة الى تنميق الألفاظ فحسب ، فان كتاب
هذا العصر أقدموا على الكتابة في موضوعات هامة ولم
يحجموا عن الخوض في المسائل العميقة •

ونلاحظ من جهة أخرى أن الديانة يأخذ مكانا
ثانويا في هذه الكتابة ولا يكاد يذكر شيء في هذه الكتب
الأدبية عن كل الآلهة الذين كان المصريون يهتمون بهم
كثيرا على حسب الفكرة الشائعة عنهم

وليس قصدنا أن نغض النظر عن الحقيقة الواقعة
وهي أن جزءا عظيما من هذا الأدب القديم قد ضاع ،
وليس معنى هذا أنه لم يكن للمصريين أدب فقد وجدنا
أمثلة كثيرة ، وعقيدتنا أن الضائع منها أكثر ، وما
وجدناه يرجع الفضل في نشورنا عليه الى المصادفة
الحضرة ، فقد وجدنا بعضا في قبور التلاميذ مدفونا معهم •
على حين أن كتبنا من نوع آخر كانت تحفظ مع الأحياء ،
فيذكرها العفاء •

ومهما يكن من أمر فإن المدارس لم يقل شأنها في

العصر الشاسانى للأأب وهو عصر الءولة الءءءثة الأءفر
(ءوالى ١٣٥٠ ق م) .

وقء نما هذا الأءب الءءء مضاءا للأءب القءءم
فانه الى هذا الوقت كانت لغة الآءاب القءءمة هى لغة
الأءب فى كل القسرون ، وغبائة ما ءءء ان اقءربء
من لغة المءاءءاء فى الوءائى الءىوءة أو فى القصص
الشائع وأءفرا . أصبء الفرق بىن اللغءىن عظماء الى ءء أن
اللغة القءءمة لم يعرفها أءء من عامة الشعب . بفر أن
هذه القيوء قء ءلء فى عهد الثورة الءىنية العظماء الءى
ءءء فى أواءر عهد الأسرة الءامنة عشرة أيام « امنءوءب
الرابع » ، فقء بءأ القوم يكءبون الشعر بلغة العامة . وقء
كءبء بهذه اللغة « أنشوءة الشمس » الءميلة وهى عبارة
عن منشور للإصلاء الءىنى . وقء اخءفى كل بءءء أءءل
مع هذا النظام الءائع بعء انهياره . . اللهم الا نظام الكءابة
بلغة العامة فانه كءب له البقاء وءلك - بلا شك - لأن
الأءوال الءى اسءمرء الى هذا الوقت قء أصبء بقاؤها
مسنءىلا . وفى عهد الأسرءىن الءاسعة عشرة والعشرىن
ازءهر أءب قوى مكءوب باللغة الءبءة النى نسمىها
« المصرىة الءبءة » .

وفى عصر « المصرىة الءبءة » كان كءلك للمءارس
نصىب وافر ولكن كءاباءها فى ءلك العهد اءءء صىغة
أكءر ءياة مما كانت لها فى العصر القءءم . وهذه الءىوءة
ءظهر بوضوء فى أءب هذا العصر اء رأى الناس الءنىاء

كما هي وشغفوا بها وعلى قدر ما وصل اليها من كتاباتهم نلاحظ أن الأفكار العميقة ليس لها محل في أدبهم ، مع أنه من الجائز أن كشفنا جديدا قد يصحح حكمنا من هذه الناحية .

● ولم يستمر الأدب المصرى الجديد طويلا في طريقه باستعمال لغة الشعب كما بدأ حقيقة . . . كما كنا نظن اذ سرعان ما أخذ الكتاب يبحثون وراء تهذيب العبارات وهذه كانت علاقة ظاهرة في الأدب القديم . وقد أصبحت لغة الفرد المذهب محلاة بألفاظ وجمل منتقاة وكان يجد سرورا في تزيينها بألفاظ أجنبية وقد بقى هذا النوع من الأدب نحو ٥ قرون على ما يظهر ثم أصبحت لغته منعقدة وكان على الأولاد في المدارس أن يتعلموها وبذلك يظهر أنه قد قضى على الحياة الأدبية . وقد بقى الحال كذلك عدة قرون الى أن ظهر أدب جديد يسمى « بالديموطيقى » .

اخلاق قدماء المصريين من كتاباتهم

● اذا استعرضنا الحكمة والنصيحة عند المصرى القديم ، نلمس مدى الذوق الرفيع عند المصرى القديم واثـر ذلك فى سلوكه ومعاملته . وما زالت هذه الحكم والنصائح من احب الأشياء الى قلوب جميع الشعوب وتحتل مكانة عظيمة بين كتب القدماء لأنها اشتملت على دراسة قيمة ، وخلاصة تجارب الحياة حيث ترسم لهم طريق السعادة وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من يريد النجاح فى الدنيا والآخرة ، وتنظم صلة الناس ببعضهم وتضع لهم طريقا مفروشا بالنور لكى يضىء لهم حياتهم .

● واذا تصفحنا أمثال هذه الكتب المشتملة على الحكم والنصائح المصرية نقبل عليها بنفوس راضية سواء اكانت مما أتت به الأديان أم وردت فى كتابات الاغريق وذلك لأنها تكشف لنا عما فى قرارة النفس البشرية . نقرأها ثم نقف قليلا لنتأكد من صداها فى نفوسنا وكثيرا ما نجد مهما بعدت الشقة والزمان بيننا وبين زمن كتابتها الا أننا مازلنا فى حاجة اليها وتتعلم منها الشئ الكثير .

● وكانت هذه الحكم والنصائح التى تحكم الذوق

الرفيع عند المصرى القديم من احب الاشياء الى قلوب
المصريين فى جميع ادوار حياتهم ومعاملاتهم وتاريخهم
يكتبها الحكماء فى اغلب الحالات على لسان أب ينصح
ابنه ويرشده الى حسن السلوك كيما يصل الى أعلى
المراتب .

● ولدينا من هذا النوع عدة برديات ربما كان
أشهرها جميعا البردية المسماه نصائح « بتاح حتب » الذى
كان وزيرا للملك « زركارع - أسيس » من ملوك الأسرة
الخامسة ، ونعرف له قبره فى جبانة سقارة .

وقد وصل الى أيدينا أكثر من نص واحد من بردية
نصائح بتاح حتب أقدمها من الأسرة (١٢) أى بعد موت
مؤلفها بأكثر من ٦٠٠ سنة . والنسخة الكاملة من هذه
البردية (١) موجودة الآن فى متحف اللوفر ببائيس
وتسمى papyrus prisse وهى من الأسرة الثانية
عشرة ، وهناك بردية أخرى فى المتحف البريطانى وهى من
الدولة الحديثة .

● ويتردد فى نفوس الكثيرين سؤال طالما سمعناه
منهم أثناء زيارتهم للآثار ويتخيلون أن هذه الآثار التى
عاشت أجيالا طويلة لم تشيد الا بالاستعانة بالقوة والقسوة

(١) وأول من درسها دراسة وافية وقارن بين نصوصها المختلفة هو:—
E Dévaud les Maximes de Ptah - Hatép, Fribourg, 1916.

وقد ترجمت فى كثير من المؤلفات وظهرت عنها أبحاث كثيرة أحدثها
فى عام ١٩٥٥ باللغة الألمانية .

فى تسخير العمال الذين قاموا ببنائها ، ويتبادر الى الذهن
أن ملوك الفراعنة كانوا ظلمة قساة القلوب ، وأن الأمراء
وحكام الأقاليم كانوا أعوانا للملوك فى هذه المظالم ، فكان
تاريخ مصر سادته مظاهر الشدة والارهاب .

— ولابد أن نؤكد أن هذه الآثار الخالدة لم يشيدها
ملوك الأسرة الرابعة بالسخرة علاوة على أن هؤلاء الملوك
كانوا يستخدمون العمال عندما تغمر مياه الفيضان
أراضيهم . . ولا يكون لديهم ما يشغلهم من أعمال
الزراعة . ودلتنا النقوش الأثرية ووثائق البردى على أن
فرق العمال كانت تحظى بنصيب كبير من رعاية الملك
وعمال حكومته ، وانى أقدم للقارىء هنا صورة صادقة من

أخبار هذه العصور القديمة ليتبين مظاهر الرأفة والشفقة
التي استعان بها حكام مصر .

— وقد خلف هؤلاء الملوك والحكام فيما عثر عليه من
النقوش ومدارج البردى وغيرها نصائحهم وكتاباتهم
التي كانت تحض النشء على الرفق وحسن المعاملة
وحفظ حقوق الغير وعدم العبث بحاجات الناس .

— ومن ذلك نعلم أن الشفقة عرفت طريق هؤلاء القوم
فما كانوا يقتلون الناس ظلما وما كانوا يجلدون
العبيد كما يتوهم البعض .

— وكان للدين عليهم سلطان كبير نافذ على عقولهم
فكان يدعوهم الى التدين والتقوى والصلاح والاحسان

الى الغير والعمل الصالح ، وكانوا يرفعون شعار عمل
الخير والاحسان والشفقة ومد يد المعونة لغير
القادر ، اذ اعتقدوا أن الانسان لا يمكنه الوصول
الى جنات الخلد والنعيم الدائم فى السماء الا اذا اظهر
اثناء الحساب عند وزن القلب ، أن روحه طاهرة
نقية ، وأنه لم يأت شرا ولا اثما ، ولم يسبب فى
حياته ضررا أو قسوة لأحد من الناس ، وأن صفحة
أيام حياته على الدنيا كانت ناصعة البياض خالية
من الآثام والسيئات ، وأنه لم يعتد على أحد ولم
يتدخل فى شئون الغير .

● اذكر فيما يلى بعض ما جاء فى كتابات القدماء
التي ترجع فى تاريخها الى عهود مختلفة ، كى يقف القارىء
على ما كان عليه أجدادنا الفراعنة الامجاد من شفقة ولين
ورفق مما لم يحدثنا به التاريخ عن أمة سبقتهم أو عاشت
فى عهدهم ، فهم الذين وضعوا أساس المدنية والتشريع
فى العالم الذى سار فى اثرهم فى الحضارة والرقى ،
واقطفى خطواتهم فى المدنية والحضارة .

● فهذا نص يقول : « لم ارتكب اثما ضد الرجال ،
ولم يشعر أحد بالجوع ولم اسبب بكاء أحد ، وما أمرت
بقتل نفس ، ولا ارتكبت جريمة القتل بنفسى ، ولم اسرق
أى شخص ، وما جعلت الناس تخافنى ، ولم أك جبسارا
عاتيا ، ولم أك قاسيا ، فكنت أمد الجائع بالخبز ، وأروى
المطشان بالماء ، وكنت اكسى العراة » .

— هذه كلمات كتبها صاحبها يرجو عليها من الآلهة
ثوابا وجزاء طيبا في جنات الخلد ، فنرى من وصفه
لنفسه أنه كان على شيء كبير من سمو الأخلاق والكرم
والرحمة في دنياه ، وأنه كان محبا للناس مشفقا
عليهم ، وأنه كان يعمل الخير بدافع من نفسه .

— وكان اعتقادهم في الحياة بعد الموت في القبر ،
أكبر وازع لهم لعمل الخير وطهارة الذمة فقد تخيلوا
أن نفس الانسان يحل بالقبر بعد وفاته ، ولا يكون
الاحسان والرحمة اليه الا اذا كان المتوفى قد أحسن
في حياته معاملة الناس والتقرب اليهم بالاحسان
والشفقة والخير ، حتى اذا ما توفي حفظ لنفسه
ذكرى طيبة فيذكر دائما بالخير والترحم عليه ،
والصلاة لروحه فيعيش سعيدا في آخرته .

— وما أكثر ما تركه لنا أجدادنا الفراعنة من قبيل تلك
النقوش والكتابات على جدران قبورهم ما يدل على
أنهم لم يتسببوا في ضرر أحد ، وكأنهم قد خلفوها
لنسير بما جاء فيها .

— فهذا أحد قوادهم الحربيين « أنتف » من الأسرة الحادية
عشرة يقول لنا : —

« قد كنت رجلا حارب القسوة وأمرت بتطبيق
القانون بالعدل وكنت لطيفا مع متوئبي المزاج ، أفهم

هلوبهم ، وأعرف الكلمات التي تجول بغاظرهم قبل
أن يتفوهوا بها ، وكنت خادما للفقير ، ووالدا لليتيم ،
وحاميا للضعيف ، وزوجا للأرملة ، وكنت أسعد من
يشقى » .

ويفاخر أحد الأمراء بقوله : « لم انتهك حرمة بنسات
أحد من الناس ، ولم تكن عندى أرملة حزينة ، ولم
أنزع ملكية أرض أحد الفلاحين ، وما كان هناك رجل
تعيس بين رجالى ، وما كان هناك جائع واحد فى
عهدى » .

● ونصح « بتاح حتب » حكيم الدولة القديمة
المشهور ابنه قائلا :

« لا تجعل الناس تخافك ، وعاملهم بالرفق
واللين » .

— وهو الذى ينفر من غرور العلم قائلا : « لا يداخلك
الغرور بسبب علمك ولا تتعال وتنتفخ أوداجك لأنك
رجل عالم استشر الجاهل كما تستشير العالم لأنه ما
من أحد يستطيع الوصول الى آخر حدود الفن ولا يوجد
الفنان الذى يبلغ الكمال فى اجادته — ان الحديث
المتع أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ومع ذلك
فقد تجده لدى الطبقات الوضيعة » .

— الالتزام بالحق ولو على نفسك : فيقول

« اذا كنت زعيما يحكم الناس فلا تسع الا وراء

كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة فيها ما أعظم الحق فان قيمته خالدة ولم ينل منها احد من ايام الآلهة ، ولكن الذى يعتدى على ما يأمر به يحل به العقاب والحق هو الطريق السوى امام الضال ، ولم يحدث أبدا أن عرف عن عمل السوء انه أوصل صاحبه سالما الى مأمنه .

● ويقول الى رئيس ديوان المظالم :

« اذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندما نستمع الى الشاكي لا تعامله الا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه وينتهى من قول ما أتى ليقواه لك .
ان الشاكي يعطى أهمية لراحة ذهنه . باسماع شكواه أكثر من تحقيق ما أتى لأجله .

اما ذلك الذى ينهر صاحب الشكوى فان الناس يقولون عنه .. لماذا تجاهلها وايم الحق ؟ .. ان ما يرجوه الناس منه لا يتحقق منه شيء .. ان رفك بالناس عند اصغائك للشكوى يفرح قلوبهم » .

— هكذا كان ديوان المظالم وشكاية المظلوم .

● طاعة الوالدين فيقول :

« ما أجمل أن يصغى الابن عندما يتكلم أبوه فسيطول عمره من جراء ذلك ، ان من يسمع يظل محبوبا من الله ، ولكن الذى لا يسمع مكروه من الآلهة والقلب

هو الذى يرشد صاحبه فيجعل منه شخصا يسمع أو
شخصا لا يسمع ، فقلب الانسان هو حياته وسعادته
وصحته ، ما أجمل أن يستمع الابن الى أبيه .

● عاق الوالدين : ويرسم عقاب عاق الوالدين قائلا :

« أما القبي الذى لا يسمع لوالديه نصحا ولا كلاما
فلن يلقى نجاحا فهو ينظر الى العلم كما لو كان جهلا ، وإلى
الخير كما لو كان شرا ويجلب على نفسه اللوم فى كل
يوم لأنه يفعل كل ما هو مكروه من الناس ، ويعيش على
ما يسبب الموت للناس - ان قال السوء فهو طعام فى فمه
وسيعرف الحكام خلقه وسيموت وهو حى فى كل يوم ..
وسيتجنبه الناس لكثرة مساوئه التى تتكدر فوقه من يوم
الى يوم » .

● وهناك نصائح موجهة الى جمنيكاي :

وهى بردية من انشاء الدولة الوسطى ولكن كاتبها
نسبها الى الدولة القديمة ، وهذا النص الذى بين أيدينا
مكتوب بلغة الدولة الوسطى (١) ويجمع الجزء المحفوظ

(١) هذه البردية ضمن مجموعة من مجموعه برديات (باريس) فى
متحف اللوفر بباريس وهى المجموعة التى تحوى بردية نصائح بتاح .
حطب ، وترجمتها منشورة فى اكثر كتب الادب وآخر ترجمة لها هى
ترجمة جاردنر فى JEA, 32

وهناك تعقيب فدرن فى المجلة ذاتها Fdeern, JEA, 35.

من هذه البردية بين بعض النصائح الأخلاقية وبين آداب السلوك والدوق فمثلا نقرا منها :

● اياك والتفاخر :

« لا تتفاخر بقوتك بين أقرانك في السن وكن على حذر من كل انسان حتى من نفسك ان الانسان لا يدري ماذا سيحدث او ما الذي سيفعله الله عندما ينزل عقابه » .

● الحظ على عمل الخير :

من النصائح الموجهة الى مريكارع ويحظ فيها ابنه على عمل الخير (١)

« هدى من روع الباكي ولا تظلم الأرملة ولا تحرم انسانا من ثروة أبيه ولا تطرد موظفا من عمله وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم لا تقتل فان ذلك لن يكون ذا فائدة لك بل عاقب بالضرب والحبس فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد ، اللهم الا من يشور عليك وتتضح لك مقاصده

(١) وهناك ترجمات كثيرة لها من أهمها ترجمه جاردير
Gardiner JEA, I 1941, p. 20-36.

— وترجمة أرمان في كتابه عن أدب المصريين القدماء .

— مقال الأستاذ شارف

A. Scherff, Der Histgrische Absehuitt der lehre fur No-
nig, Merikare.
(SWBA, 1936, Heft 8.)

فان الله يعلم خائنة القلب . والله هو الذى يعاقب أخطاءه
بدمه . . لا تقتل رجلا اذا كنت تعرف جميل مزاياه » .

● ويخاطب الملك « خيتى » ابنه مسديا اليه
النصيحة : « لا تجعل عقيدتك فى طول الحياة الدنيا . .
ولا تفتربها ، فان وقت الحياة الدنيا قصير كساعة واحدة
على الأرض ، ولا يبقى للانسان فى آخرته الا عمله فهو
كالكنز الثمين . . وحب الناس ، وواس الحزين ، وارع
الأرملة ، واذا عاقبت ، فراع العدل . . لا تقتل ، ولا تظلم
الناس فانهم عبيد الله يستمع لبكائهم » .

— وها هو أحد نبلاء الأمة « أمينى » — الأسرة ١٢ —
يقول لنا :

« انى أعطيت الأرملة كما أعطيت المتزوجة ، وما كنت
افرق بين كبير وصغير غنى وفقير » .

— وهذا مهندس كبير ورئيس عمال يقول : « شغلت
كل عمالى برفق وما ظلمتهم أو أهنتهم » .

— وها هى بعض نصائحهم التى تحض على الشجاعة
وكرم الأخلاق وحسن الطوية والمعاملة :

يذهب الشر بالخير

فم الانسان ينجيه

أعطف على من هو أقل منك

لا تقل الكذب

العمل باى الى الأبد

اصنع طيبا •

خير للانسان ان يبقى سره في بطنه

لا تجعل الطمع رائدك في جمع الثروة

خير للانسان ان يعيش على خبز وماء مع راحة

الضمير من ان يعيش على لحوم وهو منغص البال •

لا تصاحب الشخص الطائش •

احترم نفسك امام الناس •

لتكن شهرتك بين الناس فيما تقوم به من عمل

مجيد •

● واذا انتقلنا بك عزيزى القارىء الى عصر آخر ،

هو عصر الدولة الحديثة واقتبست بعض فقرات من نصائح

آنى الى ولده (١) ، ونعرف منها الشئ الكثير عن آداب

الدوق والسلوك • وما كان يراه المصريون فى ذلك العهد

فى تكوين المجتمع وصلة الناس بعضهم ببعض فيقول :

- فى الحث على الزواج :

« اتخذ لك زوجة وانت فى شبابك حتى تلد لك ابنا

(١) بردية « آنى » فى المتحف المصرى بالقاهرة (بولاق ٤) وهى

من الأسرة (٢١ ، ٢٢) وهى مترجمة فى جميع المؤلفات الرئيسية عن الادب

المصرى القديم •

وَأَنْتَ شَابٌ عَلَيْهِ لِيَصْبِحَ رَجُلًا فَمَا أَسْعَدَ الشَّخْصَ الَّذِي يَكْثُرُ
أَهْلُهُ وَيَحْيِيهِ النَّاسُ بِاحْتِرَامٍ بِسَبَبِ أَوْلَادِهِ .

– الْقَنَاعَةُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ :

« لَا تَكْثُرْ مِنَ الْكَلَامِ وَالزَّمِ الصَّمْتَ فَتَسْعَدَ وَلَا تَكُنْ
مِمَّنْ يَحْبُونَ الْخَوْضَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّاسِ أَنْ شَرَّ مَا يَحْدُثُ
فِي بَيْتِ اللَّهِ هُوَ أَحْدَاثُ الضَّبَجَةِ فَصَلْ بِقَلْبٍ يَمْلَأُهُ الْحُبُّ
وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ بِكَلِمَاتِكَ وَسَيَجِيبُ اللَّهُ سَوَالَكَ ، وَيَتَقَبَّلُ
قُرْبَانَكَ . »

– الزَّجْرُ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخَمْرِ :

« لَا تَوُذْ نَفْسَكَ بِشَرْبِ الْجَمْعَةِ إِنْكَ إِذَا أَرَدْتَ الْكَلَامَ فَإِنْ
أَلْفَاظًا أُخْرَى تَخْرُجُ مِنْ فَمِكَ وَإِذَا سَقَطَتْ وَكُسِرَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ
فَلَنْ يَمْدُ أَحَدٌ يَدًا إِلَيْكَ وَيَصْرُخُ أَعَزُّ أَصْدِقَائِكَ قَائِلًا « اَحْمَدُونِي
مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدَمَا يَشْرَبُ وَإِذَا مَا حَضَرَ إِلَيْكَ شَخْصٌ
لِيَبْحَثَ عَنْكَ وَيُوجِّهَ إِلَيْكَ سَوْأًا يَجِدُونَكَ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ
كَطِفْلِ صَغِيرٍ . »

– عَامِلُ زَوْجِكَ بِالْحُسْنَى :

« لَا تَكْثُرْ مِنْ إِصْدَارِ الْأَوَامِرِ إِلَى زَوْجَتِكَ فِي مَنْزِلِهَا
إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا سَيِّدَةٌ صَالِحَةٌ لَا تَقُلْ لَهَا أَيْنَ هُوَ ؟ أَحْضَرِيهِ
لَنَا . . لَاحْظْهَا بِعَيْنَيْكَ وَالزَّمِ الصَّمْتَ حَتَّى تَدْرِكَ جَمِيلَ

مزايها • يا لها من سعادة عندما تضم يدك الى يدها وكثير
من الناس هنا لا يعرفون كيف حال الانسان دون حدوث
الشقاق في منزله ان كل رجل يستقر في منزل يجب ان
يجعل قلبه ثابتا غير متقلب •• فلا تجر وراء امرأة اخرى
ولا تجعلها تسرق قلبك •• « •

بتاح حتب ٠٠ وأقدم مصدر في أدب العالم

تعد تعاليم « بتاح حتب » أقدم مصدر في أدب العالم
٠٠ صور لنا الخلق المستقيم ٠٠ والواقع أن حكم « بتاح
حتب » التي جاءت عن تجارب ٠٠ تلخص لنا كثيرا من الأدب
الخالق لهذا العصر وكما جاء في مقدمة هذه التعاليم تجد أن
الوزير المسن قد شعر بضعف الشيخوخة وطلب الى الملك
أن يسمح له بتعليم ابنه (ابن الوزير) ليحل محله في
وظيفته . ولما قبل الملك ملنمس وزيره . أخذ الأخير يحذر
ابنه بألا يسيء استعمال الحكمة التي سيلقنه اياها بل ينتهج
سبيل التواضع فقال : « لا تكونن متكبرا بسبب معرفتك ،
ولا تثقن بأنك رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية
العلم لا يمكن الوصول اليها ، وليس هناك عالم يسيطر على
فنه تماما . وان الكلام الحسن أنصع من الحجر الأخضر الكريم
ومع ذلك فانك تجده مع الائمة اللائي على أحجار الطواحين .

● ثم يأتي بعد ذلك اثنتان وأربعون فقرة في نصائح
مختلفة دون أي مجهود من المؤلف في ترتيبها أو
تنظيمها بل كتب كلا منها عفوا حسما كان يحضر

ذهنه من تجارب الحياة ومسئوليتها • وسنكتفى هنا
بذكر أهمها ..

معاملة الخطيب :

إذا وجدت خطيباً في زمانه سليم العقل أمهر منك
فأثن له ذراعك واحن له ظهرك • أما إذا تكلم هجراً فلا
تقصرن حينئذ في مقاومته حتى ينادى به الناس : أنت
إنسان جاهل •

ولكن إذا كان مماثلاً لك فأظهر بصمتك أنك أحسن
منه إذا أخطأ في الكلام وعندئذ سيمدحه السامعون ولكن
اسمك سيقتبر حسناً بين العظماء •

أما إذا كان شخصاً حقيراً ليس ندا لك فلا تفضين
عليه لأنك تعلم أنه تعس • • احتقره وبذلك يؤنب نفسه
• • وأنه لقبيح أن يضر الإنسان شخصاً محتقراً •

••••• أنك تفوز بالحياة بمساعدة الحق والصدق :

إذا كنت قائداً وتصدر الأوامر للجيم الففير فاسع
وراء كل كمال حتى لا يكون نقص في طبيعتك أن الصدق
جميل وقيمتة خالدة وأنه لم يتزعزع منذ يوم خالقه ، والذي
يتخطى نوااميسه يعاقب • وهو أمام الضال بالطريق
المستقيم • إن الخطأ لم يقد مقترفه إلى الشاطئ • • حقيقة
أن الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق في أنه يمكن
والرجل المستقيم يقول أنه منع والدي •

● أدب السلوك في الضيافة :

« اذا اتفق أنك كنت من بين الجالسين على مائدة من هو أكبر منك مقاما فخذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك ولا تنظرن الى ما هو موضوع أمامه بل انظر الى ما هو موضوع أمامك .. ولا تصوبن نظرات كثيرة اليه لأن ذلك مما تشمئز منه النفس اذا أحفظها الانسان ، وانظر بمحياء الى أسفل الى أن يحييك وتكلم فقط بعد أن يرحب بك واضحك حينما يضحك فان ذلك يدخل السرور على قلبه وما تفعله يكون مقبولا لأن الانسان لا يعلم ما في القلب .

والرجل العظيم يتوقف عزمه على ارادة نفسه حينما يجلس أمام الطعام والرجل العظيم يعطى لمن يجاوره ..
والخبز يؤكل بأمر الله » .

● كن أميناً في تبليغ الرسائل :

« اذا كنت فرداً ممن يوثق بهم وأرسلك رجل عظيم الى آخر ، فاعمل بنصح في الأمر حينما يرسلك فيجب عليك أن تبلغ الرسالة كما قالها ، ولا تكونن كتوما فيما يمكن أن يقال لك واحذر النسيان . واحرص على الصدق ولا تتخطه حتى لو كنت مخبراً شيئاً لا يسر . واحذر أن تقبح الكلام ، فربما يصير العظيم محتقراً عند آخر بوساطة القاء الكلام كالعامه . » وسيصبح وسيراه العظيم أمر تكرهه النفس » .

إذا حرثت وكان هناك نبات في الحقل وأعطاك الله
الخير العميم فلا تشبعن فمك بجانب أقاربك » •

● لا تصغرن من شأن أولئك الذين ارتقوا في الدنيا :

« إذا كنت رجلا متواضعا ، وكنت في ركاب رجل
ذائع الصيت من الذين على وئام مع الاله (الملك) فتجاهل
ماضي وضاعته ، ولا تحقطن عليه • بما تعرفه عنه فيما
سلف ، واحترمه على حسب مكانته التي أصبح فيها لأن
الغنى لا يأتي وحده » •

● خصص لنفسك وقتا لترويح نفسك :

« اتبع روحك ما دمت حيا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل
لك • ولا تنقص من الوقت الذي تتبع فيه قلبك لأنه
مكروه عند النفس إذا انتقص وقتها العناية الزائفة بمنزلك •

● معاملة ابنك :

« إذا كنت محترقا ، وكان لك بيت ، وولد لك ابن
فاذا عمل صالحا ، ومال الى طبعك ، وسمع تعاليمك ،
وكانت خطئه ذات نتيجة حسنة في بيتك ، ومعتنيا بمالك
كما يجب فابحث له عن كل شيء حسن • فهو ابنك الذي
ولدته لك » كاك (نفسك) ولا تنفرن قلبك منه •

ولكن اذا عمل سوءا ، وأعرض عن خطئك (نصائحك)
ولم يعمل حسب تعاليمك ، وصارت خطئه لا قيمة لها في

بيتك ، وتحدى كل ما تقوله .. عندئذ أقصه لأنه ليس .. ولم يولد لك ..

● السلوك في بهو العظماء :

« اذا وقفت أو قعدت في البهو ، فانتظر بهدوء حتى يأتي دورك . واصغ الى الخادم الذى يعلن ، ومن نودى فله مكان متسع . والبهو له نظامه ، وكل ترتيب فيه على حسب خيط القياس . وان الاله هو الذى يعين المكان الأول - ولا يصل الانسان الى شئ بالمرفق .

كن حازما في حديثك مع الناس .

أعلن عملك بدون خفاء ، وتقدم بأفكارك فى مجلس سيدك .. ويجب على الانسان أن يقول بوضوح ما يعرفه وما لا يعرفه .. فهو صامت ويقول : « لقد تكلمت » .

● معاملة أصحاب المظالم :

اذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى . فكن شفيفا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسء معاملته الى أن يغسل بطنه . والى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وان المتظلم يحب كثيرا أن يهز الانسان رأسه الى كلامه الى أن ينتهى مما جاء من أجله ..

وأن مجلسا حسنا يسر القلب .

ولكن من يمثل القسوة نحو المتظلم ، فان الناس يقولون « لآى سبب يفعل هو كذلك ؟ » ..

● التحذير من النساء :

« اذا اردت ان تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدا او اخا او صاحبا ، فاحذر القرب من النساء ، فان المكان الذى هن فيه ليس بالحسن .

ومن اجل هذا يذهب الف الى الهلاك : فان الرجال يصيرون مجانين باعضائهن المبهرجة وبعد ذلك تصير مثل « حجر هرست » شيئا تافها مثل الحلم ، والموت يأتى فى النهاية » .

● التحذير من الشراة :

« اذا اردت ان يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح ، فاحذر الشراة فانها مرض مملوء بالداء ولا يشفى . والصداقة معها مستحيلة ، فانها تجعل الصديق العذب مرا ، وتقضى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته . وهى حزمة من كل أنواع الشر وحقيقية مماوة من كل شئ مرذول . وان الرجل الذى يتبع طريقة حقة فى سلوكه ويسير على الصراط السوى ، يعيش طويلا ويكسب الفنى بذلك ، ولكن الشره لا قبر له .

لا تكونن شرها فى القسمة . ولا تكونن ملحا الا فى حقك ، ولا تطمعن فى مال اقاربك ، فان التماس التواضع يجدى اكثر من القوة . . فان القليل الذى اختلس منه . . يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين .

● فائدة الزواج :

« اذا كنت رجلا ذا مكانة ، فاسس لنفسك بيتا واحبب زوجك في البيت كما يجب . وعليك ان تملأ بطنها وتستتر ظهرها ، والمطور هي دواء اعضائها . وشرح قلبها طالما عاشت فانها حقل مثمر لربها » .

● كن كريما مع اصدقائك :

« اشبع اصدقاءك بما جدد لك كإنسان نال الخطوة عند الاله (الملك) ومن الحزم ان تفعل ذلك ، اذ ليس هناك انسان يعرف مصيره اذا فكر في الله . فاذا اصابت الاقربين مصيبة فان الاصدقاء منهم الذين لا يفتشون . . . يسولون مرحبا له . . فمليك ان تستبقى ودهم لوقت السخط الذي يهدد الانسان » .

● كن حذرا في الكلام :

« اذا كنت رجلا ذا مقام سام يجلس في محفل سيده فوطن عقلك على ما هو حسن . . الزم الصمت فان هذا احسن من ازهار » تقتف . . وتكلم فقط اذا كنت تعلم بانك ستحل المضلات وان الذي يتكلم في المحفل لفنان في الكلام . والكلام اصعب من انى حرفة اخرى .

● لا تثقن بالحظ :

« اذا أصبحت عظيما بعد ان كنت صغير القلرة وصرت

صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا في المدينة التي تعرفها
(موطنك القديم) فلا تنسين كيف كانت حالتك في الزمن
الماضي . لا تثقن بثروتك التي أتت اليك منحة من الله ،
فأنك لست بأحسن من غيرها من أقرانك الذين حدث لهم
ذلك الفقر » .

● احترام الرؤساء :

« أمن ظهرك لمن هو أعلى منك وبذلك يبقى بيتك
بخيره ويدفع لك مرتبك في حينه . ومقاومتك من في يده
السلطة قبيح . والانسان يعيش ما دام متساهلا . .

● الحزم في المصاحبة :

« اذا كنت تبحث عن اخلاق من تريد مصاحبته . .
اقترب منه ، وكن معه منفردا . . وامتنعن قلبه بالمحادثة
فاذا أفشى شيئا قد رآه ، وأتى أمرا يجعلك تخجل له
فعندئذ احذر حتى في أن تجاوبه . . كن صبور الوجه
مادمت حيا » .

● واهتم كذلك المصري القديم بالأشياء الدنيوية التي
تحت السامعين على التمتع بأكثر ما يمكن مدة حياتهم .
والدولة الحديثة التي قد حفظت لنا تلك الأشياء عرفت أنها
مأخوذة من بيت الملك « انتف » أي من قبره ، وقد كتبت
أمام العواد أيضا وتوجد صورة كاملة منها بين أغاني
الدولة الحديثة : -

« ما أسعد هذا الأمير الطيب ، والمقدر الجميل قد
وقع ، تذهب أجسام وتبقى أخرى .. منذ عهد الذين كانوا
من قبلنا . والملوك الذين وجدوا في الزمن الغابر راقدون
في أهرامهم .. والأشراف قد دفنوا في أهراماتهم كذلك ..
والذين بنوا بيوتا قد أصبحت مساكنهم .. كأن لم تكن .
فماذا جرى لهم ؟ »

لقد سمعت أحاديث « امحوتب » « وحاردرف » اللذين
يتحدث بكلماتهما في كل مكان .. ما هي مساكنهما الآن ؟
جدرانها دمرت ومساكنهما لا وجود لها كأن لم تكن قط .
ولم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال من قبلنا
ويخبرنا عما يحتاجون اليه لتطمئن قلوبنا قبل أن نذهب
نحن كذلك الى المكان الذي ذهبوا اليه . كن فرحا حتى
تجعل قلبك ينسى أن القوم سيحتفلون يوما ما بموتك فمتع
نفسك مادمت حيا . وضع العطر على رأسك ، والبس
الكتان الجميل ، وضمخ نفسك بالروائح الزكية المقدسة .
وزد كثيرا في السررات التي تملكها ولا تجعل قلبك
يكتئب . اتبع رغباتك وافعل الخير لنفسك . افعل ما تميل
اليه على الأرض لا تغضين قلبك حتى يأتي يوم نعيك .
ومع ذلك فان صاحب « القلب الساكن » لا يسمع عويلهم
وان الصياح لا ينجي انسانا من العالم السفلي .

● ثم يقول في النهاية :

« اقض اليوم في سعادة .. ولا تجهدين نفسك .. »

فان احدا لم يأخذ متاعه معه • أصغ • • وليس في قدرة
انسان قد ولى أن يعود ثانية •

● وهناك تعاليم الملك خيتى لابنه مرى كارع :

وقد اقتبسنا منها بعض المقتطفات وتمتاز هذه الورقة
بما جاء فيها • • يكاد يكون معدوما في كل التعاليم الأخرى •
ومن الحكم الرائعة التى جاءت فيها : -

● قيمة حسن الكلام والحكمة :

« كن حاذقا في صناعة الكلام ، لأن قوة الرجل
لسانه • • والكلام أقوى من أية معارضة • • والحاذق
لا يعارضه أحد • والذين يعرفون أنه عاقل لا يهاجمونه •
ولا يلحقه مكروه أينما كان • ويأتى اليه الصدق بعد أن
اختبر تماما ، كما كان يتكلم به الأجداد •

● الله وبنو الانسان :

« ان الفرد الذى يحمل فضيلة الحق في قلبه أحب الى
الله من تور الظالم ، اعمل شيئا لله حتى يعمل لك بالمثل •
ان الله عليم بمن يعمل له شيئا » •

● وقد ختم هذا الملك الحكيم كلامه بتأملات تدل على
اعتقاده بالوجدانية ووصف خالقه المسيطر على العالم
• • نذكرها فيما يلي : -

« ان الله قد عني عناية حسنة برعيته فقد خلق
السموات والأرض .. طبق رغبتهم .. وخفف الظما بالماء
.. وخلق لهم الهواء حتى تحيا به انوفهم .. وهم صوره
التي خرجت من اعضائه ، وهو يرتفع الى السماء ، وخلق
النبات والماشية والطيور والأسماك غذاء لهم وهو كذلك
يعاقب فذبح أعداءه .. بسبب ما دبروه حينما عصوا امره .

ويضع النور حسب رغبتهم كذلك يجعلهم ينامون
ويسمع عندما يكون وجعل لهم منفذا من الفرج » .

سلوك مصري .. وروحه :

● هذا سلوك شعري .. بين انسان قد سئم الحياة وبين
روحه :

(ورقة محفوظة بمتحف برلين) تعد محتويات هذه
الورقة أقدم وثيقة في متناولنا عن موضوع روحى فى تاريخ
العالم وهى تشبه « كتاب يعقوب » الذى كتب بعدها بنحو
١٥٠٠ سنة . ولا نزاع فى أن اختيار المؤلف لهذا الموضوع
كان وفقا لحالة الاضطراب والفقر والعوز التى كانت تسود
البلاد فى هذا العهد المظلم .

— وما يؤسف له أن مقدمة هذا الكتاب التى ذكرت
فيها أسباب هذه الثورة الروحية قد فقدت ولكن ما بقى
لنا من الوثيقة يمكننا من أن نتلمس منها تلك الأسباب .

— والواقع أن هذا البائس كان رجلا رقيق الروح ولكنه رغم ذلك قد دأبه الحظ العاثر إذ أصبح مريضا وابتعد عنه أصدقاؤه ، وحتى اخوته الذين كان من واجبهم أن يواسوه في مرضه ، ولم يجد بجانبه خلا وفيا .

وفي وسط تلك المصاعب سرق جيرانه متاعه ، وما عمله من صالح الأمس قد نسي اليوم ، ورغم أنه كان صاحب حكمة فانه قد أقصى عندما كان يريد أن يتراجع عن حقه ، وقد حكم عليه ظلما ، واسمه الذي كان يجب أن يكون موضع الاحترام ، أصبح نتنا في أنوف الناس ، .

● وفي هذا الوقت العصيب عندما كان يسبح في الظلام واليأس صمم على أن ينتحر فتراه وهو واقف على حافة القبر على حين أن روحه كانت تفر من الظلمة في فزع وتأبى أن تتبعه ، وبعد ذلك تجد في الورقة أن هذا التعيس يكلم نفسه أى يتحدث الى روحه وكأنه يتحدث الى شخص آخر .

وقد كان أول سبب في عدم اطاعة روحه واتباعها اياه الى الآخرة خوفها من ألا تجد طعاما في القبر بعد الموت ، وقد يظهر ذلك غريبا جدا لأول وهلة من رجل يشك كثيرا في مثل هذه التحضيرات التي كانت تجهز للمتوفى في آخرته ، ولعل هذا التعليل حيلة أدبية يريد الكاتب أن يتخلص منها الى عدم فائدة هذه المعتقدات الجنازية .

«والظاهر أن الروح نفسها قد اقترحت عليه الموت حرقا ولكنها فرت بنفسها من هذه النهاية الفظيعة . ولما لم يكن من بين الأحياء لهذا التعس صديق أو قريب يقف بجانبه ، ويقوم بالاحتفالات الجنائزية ، أخذ يستحلف روحه أن تقوم له بكل هذا ، ولكن الروح على أية حال أبت الموت فى أى شكل وأخذت تصف فظائع القبر : -

• ثم فتحت روحى فمها وأجابت عما قلته : اذا تذكرت الدفن ، فانه حزن ، وذكره تثير الدمع . وتقعم القلب حزنا فهو ينتزع الرجل من بيته ويلقى به فى الأرض .. ولن تخرج قط ثانية لترى الشمس .. على أن هؤلاء الذين بنوا بالجرائيت الأحمر قبورهم .. وأقاموا حجر دفن فى الهرم .. وهذا الجميلون الذى شيدوه وهذا المبنى الجميل .. وأصبحوا مثل الآلهة .. ترى موائد قربانهم هناك خاوية كموائد أولئك المتعبين الذين يموتون على الجسر من غير خلف لهم ، فيبتلع الفيضان ناحية من أجسامهم وتلفحهم حرارة الشمس كذلك .. ويلتهمهم سمك شاطئ النهر ويعبث بهم . أصغى الى .. انه لجدير بالناس أن يصغوا . تمتع بيوم السرور وانس الهموم .

● وهذا هو جواب الروح عندما تمثل أمامها منظر الموت ولكن البائس قد أكد أن « من كان فى هرمه ومن وقف بجوار سرير موته ، أحد الأحياء ، يكون سعيدا ، وقد سعى أن تقوم روحه بدفنه وبتقديم

القرايين ، وتقف عند القبر يوم الدفن ، لتجهز السرير
فى الجبانة ، .

ولكن كان منله مثل ضارب العود فى الأغنية
فقد تذكرت روحه . . قبور العظماء التى خربت ،
وموائد قرباتهم التى أصبحت خاوية كموائد العبيد
التعسنيين الذين ماتوا كالذباب فى وسط الأعمال
العامة ، على جسور الرى وقد أصبحت أجسامهم عرضة
للحر اللافح . . والأسماك الملتهممة فى انتظار الدفن .
فلم يكن هناك الا حل واحد لكل ذلك : « أن يعيش
الانسان جاعلا الحزن نسيا منسيا . . وينغمس بكليته
فى السرور » .

● ويلاحظ أنه الى هذا الحد لم تختلف هذه المناظرة التى
تنحصر كل فلسفتها فى أن « يأكل الانسان ويشرب
ويكون مرحا . . لأنه سيموت غدا » . . الا أنه يبرهن على
أن الحياة رغم أنها ليست فرصة للسرور ، الا أنها عبء
لا يمكن احتماله أكثر من الموت . . وقد أوضح
هذا فى أربع مقطوعات شعرية خاطب بها هذا التعيس
روحه وهذه المقطوعات تؤلف الجزء الثانى من هذه
الوثيقة ولحسن الحظ. نجد معظمها مفهوما .

● المقطوعة الأولى : تصف لنا مقت العالم بغير حق لاسم
هذا التعيس .

● المقطوعة الثانية : نجد فى هذا الشعر أن ذلك الشقى

ينتقل من نفسه ليصف هؤلاء الذين كانوا سببا في
تعبه ، فينظر الى مجتمع عصره فلا يجد فيه الا ..
الغش والخيانة والظلم وعدم الوفاء حتى بين اقاربه .

● **المقطوعة الثالثة :** أنشودة في مدح الموت . على أننا
نجد فيها تأملات في ميزات الموت كما سنجد بعد ذلك
بنحو ١٥٠٠ سنة فيما ذكره أفلاطون عن أستاذه
سقراط ، ولكنها أول شكوى لرجل « اناق به الظلم ومن
المدحش أنها لا تحنوي على أفكار عن الاله بل تنحصر
في خلاصة من آلام الماضي التي لا تختمل .. ولا ينظر
قط للمستقبل .. هذا من مميزات العصر الذي عاش
فيه .. ولا نزاع في أن الصورة التي رسمها هذا
الكاتب قد أخذت من الحياة اليومية في وادي النيل
في تلك الفترة .

● **المقطوعة الرابعة :** يختم هذا البائس كلامه بالالتجاء
الى العداة في الآخرة وبذلك قد جعل من الموت مدخلا
الى قاعة : « حاكمة » .. وكان عليه أن يذهب اليها بأسرع
ما يمكن .

« اسمى ممقوت .. »

انظر ان اسمى ممقوت .. أكثر من رائحة اللحم
النتن . في أيام الصيف عندما تكون السماء حارة .
انظر ان اسمى ممقوت .. أكثر مما يمقت صيد
السماك . في يوم صيد تكون السماء فيه حارة .

- انظر ان اسمى ممقوت .. أكثر من رائحة الطيور .
- وأكثر من تل من الصفصاف مليء بالأوز .
- انظر ان اسمى ممقوت ، أكثر من رائحة السماك .
- وأكثر من شواطئ المستنقعات عندما يصاد عليها .
- انظر ان اسمى ممقوت .. أكثر من رائحة التماسيح .
- وأكثر من الجلوس .. حيث التماسيح .
- انظر ان اسمى ممقوت . أكثر من زوجة ، عندما يقال عنها الأكاذيب لزوجها .
- انظر ان اسمى ممقوت ، أكثر من حب شديد ، قد قيل عنه انه .. لمن يكرمه .
- انظر ان اسمى ممقوت ، أكثر من .. مدينة ، أكثر من ثائر ولى الأدبار .

•• لمن اتكلم اليوم ••

- لمن اتكلم اليوم ؟ : الأخوات شر . وأصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب .
- لمن اتكلم اليوم ؟ : الناس شرهون . وكل انسان يغتال متاع جاره .
- لمن اتكلم اليوم ؟ اللطف قد باد ، والوقاحة صارت فى كل القوم .

لمن أتكلم اليوم ؟ : فان من كان ذا وجه باسم أصبح خبيثا
وأصبح الخير ممقوتا فى كل مكان .

لمن أتكلم اليوم ؟ : فان الذى يستفز غضب الرجل الطيب
بأعماله الشريرة يسر منه الناس ويضحكون كلما
كانت خطيئته شنيعة .

لمن أتكلم اليوم ؟ : الناس يسرقون وكل انسان يفتصب
مناغ جاره

لمن أتكلم اليوم ؟ : فقد أصبح الرجل المريض هو-الصاحب
الذى يوثق به ، أما الأخ الذى يعيش معه فقد صار
العدو .

لمن أتكلم اليوم ؟ : حيث لا يذكر أحد الماضى ، ولن يفعل
أحد الخير لمن يسديه اليه .

لمن أتكلم اليوم ؟ : الأخوات شر ، والانسان صار يعامل
كعدو رغم صدق ميوله .

لمن أتكلم اليوم ؟ : اذ لا ترى الوجوه وأصبح كل انسان
يلقى بوجهه فى الأرض اعراضا عن اخوانه .

لمن أتكلم اليوم ؟ : والقلوب شرهة . والرجل الذى يعتمد
عليه القوم لا قلب له .

لن أتكلم اليوم ؟ : فالصديق الذي يعتمد عليه معدوم ،
وأصبح يعامل الانسان كأنه فرد مجهول . رغم أنه
قد جعل نفسه معروفا .

لن أتكلم اليوم ؟ : اذ لا يوجد أحد في سلام ، والذي ذهب
منه لا وجود له !

لن أتكلم اليوم ؟ : فاني مثقل بالشقاء وينقصني خل وفي .
لن أتكلم اليوم ؟ : فان الخطيئة التي تصيب الأرض لا حدها .

الموت أمامي ..

ان الموت أمامي اليوم .. كمثل المريض حينما يشفى
وكمثل الذي يمشى في الخارج بعد المرض .

ان الموت أمامي اليوم .. كرائحة بخور المر ..
وكمثل انسان يقعد تحت الشراع في يوم شديد الريح .

ان الموت أمامي اليوم . كرائحة زهرة السوسن
وكما يقعد الانسان على شاطئ السكر .

ان الموت أمامي اليوم .. كطريق معبد . وكما يعود
الرجل من الحرب الى بيته .

ان الموت أمامي اليوم .. كرجل يتوق الى روية بيته
بعد أن قضى سنين عدة في الأسر .

ماذا قالت روحى ..

ان الذى هنالك .. سيقبض على المذنب كاله حى ..
ويوقع عقاب الاجرام على من اقترفه .

ان الذى هنالك .. سيقف فى سفينة الشمس
ويجعل أحسن القرايين هناك تقدم للمعابد .

ان الذى هنالك .. سيكون رجلا عاقلا لم ينبذ
مصليا « لرع » حينما يتكلم .

❁ هذا ما قالت روحى لى : اترك العويل ظهريا
يا خلى ويا أخى ..

سأسكن هنا اذا كنت ترفض الغرب .. ولكن حينما
تصل الى الغرب ويتحد جسمك مع الأرض فانى سأنزل
عندئذ بعد أن تستريح .

.. دعنا اذا نسكن معا ..

سلوك جديد .. وأسلوب فى الشكاية

لدينا أربع نسخ من كتاب أطلق عليه علماء الآثار
« شكاوى » الفلاح الفصيح ويرجع تاريخ كتابتها الى عهد
الدولة الوسطى . وهذا الكتاب مثال للفصاحة . فتعابير

غاية في الرشاقة والبلاغة ، وموضوعه يتلخص في شخص
فصيح ألقى تسع خطب في ثوب شكاوى تعد من أبدع
وأروع ما قيل بسبب حادث ظلم وقع له .

ـ ومحور هذه الخطب مدح العدل وذم دناءة الموظفين

ولكن التعابير التي كانت تتدفق في فم الخطيب جعلتنا
نكاد ننسى الغرض الذي قيلت من أجله . . ولا شك أن
هذه الخطب قد تظهر للقارئ الحديث مملة متشابهة ،
غير أنها ربما كانت في الحقيقة حسنة الوقع في أذن
المصري ، يحس بما فيها من رشاقة وحسنة مما يتعسر
علينا ادراكه ، وبخاصة اذا عرف أننا لم نفهم هذا الكتاب
الا بشكل غير متكامل .

● وقد وقعت حوادث هذه القصة في عهد الملك
« نب كاورع » أحد ملوك « هراكليوبوليس » (اهناسيا
المدينة الحالية) ويحمل لقب « حنيت » وقد حكم البلاد
في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتتلخص القصة في
أن فلاحا من مقاطعة الفيوم من اقليم وادي النطرون كان
يسكن ببلدة تسمى حقل النطرون . واتفق أن هذا الفلاح
وجد مخازن غلاله تكاد تكون خاوية ، فحمل حميره
محصولات قرينته واتجه نحو اهناسيا طلبا للمبادلة بالغلال
وقد كان عليه أن يمر في طريقه الى العاصمة بمنزل
« تحوتى نخت » أحد موظفى « رنزي » الذى كان المدير
العظيم لبيت الملك .

وقد راقت هذه الحمير فى عين « تحوتى نخت »
فدبر حيلة للاستيلاء عليها عنوة هو وأتباعه ، فاتخذ حيلة
حينما أكل أحد الحمير بضع سيقان من القمح كانت هذه
سببا لضرب الفلاح ضربا مبرحا واغتصاب حميره ، وقد
مكث بباب « تحوتى نخت » أربعة أيام يرجو فيها ارجاع
حميره ولكن بدون جدوى .

ولما علم هذا الفلاح بشهرة عدالة « رنزى » المدير
العظيم لبيت الملك . ولى وجهه شطر المدينة ليشتكو اليه
ما حاق به ولحسن حظ الفلاح صادف المدير العظيم لبيت
الملك وهو يتأهب لركوب قاربه ، فأخذ يقص عليه ما أصابه
بلغة فصيحة مما استرعى سمعه فأرسل أحد خدمه ليسمع
قصة الفلاح ولما عاد وأخبر « رنزى » بسرقة « تحوتى
نخت » للحمير ، عرض المدير العظيم لبيت الملك الموضوع
على زملائه من الموظفين وقد حذق المؤلف فى جعل جوابهم
يتفق مع ما يحدث فى مثل هذه الأحوال ، وهو تعامل
الموظف على الفقير فى الدوائر الحكومية مهما كان الحق فى
جانبه ، ولذلك نرى أن زملاء المدير الكبير قد انحازوا الى
جانب « تحوتى نخت » وأجابوا « رنزى » بفتور عظيم بأن
المسألة ربما كانت تنحصر فى موضوع فلاح قد دفع
ما عليه من الضرائب خطأ لرئيس غير رئيسه ، وأن
« تحوتى نخت » قد استولى بحق على ما يستحقه من
الضرائب . ثم تساءلوا فى غضب : هل سيعاقب « تحوتى

نُحِتَ « من أجل قليل من النظرون ، وقليل من الملح ؟
فليطلب اليه أن يعيدها وهو لا يتأخر » .

.. ويلاحظ أنه من خصائص هذه الطبقة أنهم
يتجاهلون الحمير التي اغتصبت والتي يسبب ضياعها
موت هذا الفلاح وأسرتة جوعا . وعندما سمع الفلاح بذلك
تقدم الى « رنزي » وأخذ يقص عليه شكايته بفصاحة
ولباقة :

اجعل اسمك .. فوق كل قانون ..

عندئذ أتى الفلاح ليقدم مظلمته الى مدير البيت
العظيم « رنزي » ابن « مرو » فقال : « يا مدير البيت
العظيم ، يا سيدي ، يا عظيم العظماء ، يا حاكما على ما قد
فنى وما لم يفن .. واذا ذهبت الى بحر العدل .. فان
الهواء لن يمزق شراعك وقاربك لن يتباطأ ولن يحدث
لساريتك أى ضرر ، ومرسأك لن يكسر ، ولن يغوص
(قاربك) حينما ترسو على الأرض . ولن يحملك التيار
بعيدا ، ولن تذوق أضرار النهر ، ولن ترى وجهها مرتاعا
.. والسماك القفاز سيأتى اليك وستصل يدك الى أسمن
طائر ..

انك أب لليتيم ، وزوج للأرملة ، وأخ المهجورة .
ومئزر لذلك الذى لا أم له .. دعنى أجعل اسمك فى هذه
الأرض فوق كل قانون عادل ، فتكون حاكما خلوا من الشره

وشريفا بعيدا عن الدنيا ومهلكا للكذب ومقيما للعدل ،
رجلا يلبي نداء المستغيث ، انى اتكلم . . فهل لك أن
تسمع ، أقم العدل أنت يا أيها الممدوح الذى يمدح من
الممدوحين . اكشف عنى الضر . . أنظر الى . . ان حملي
ثقيل . . » اختبرنى انى ضعت » .

الزم الصمت . . واعطه لقمة العيش . .

وقد اتفق أن هذا الفلاح قد ألقى هذه الخطبة فى
عهد الملك « نبكاورع » ، وقد ذهب المدير العظيم للبيت
« رنزي » بن (مرو) أمام جلالته وقال : « سيدى لقد
عشرت على أحد هؤلاء الفلاحين ، وفى الحق أنه فصيح ،
وهو رجل قد سرق متاعه ، وانظر انه قد حضر ليتظلم لى
من أجل ذلك » .

عندئذ قال جلالته : « بقدر ما تحب أن ترانى فى
صحة . . دعه يتباطأ هنا دون أن تجيب عن أى شىء قد
يقوله . . ولأجل أن تجعله يستمر فى الكلام . . الزم
الصمت . . ثم أمر بأن يؤتى لنا بذلك مكتوبا حتى
نسمعه ولكن مد زوجته وأطفاله بالمئونة . . ثم انظر أن
يأتى أحد الفلاحين الى مصر فهذا يسبب فقر بيته . . وزيادة
على ذلك من هذا الفلاح نفسه . فلا بد من أن تأمر باعطائه
الطعام دون أن يعلم أنك أنت الذى أعطيته اياه » .

. . وعلى ذلك أعطى عشرة أرغفة كل يوم . وقد

تعود رب البيت العظيم « رنزي » بن مرو أنه يعطى تلك الأشياء لأحد اصدقائه .. وكان هذا يعطيها اياه ثم أن المدير العظيم للبيت « رنزي » بن مرو أرسل الى شيخ بلدة (سخت حموت) ليعطى زوجة ذلك الفلاح ثلاثة مكاييل من القمح كل يوم .

يا خيط الميزان .. لا تتذبذب ..

هذا الفلاح قد أتى ليتظلم له مرة ثانية وقال : يا أيها المدير العظيم للبيت الملكي يا سيدي .. يا عظيم العظماء يا أغنى الأغنياء .. يا من عظماءهم واحد أعظم منهم .. يا من أغنياءهم واحد أغنى منهم .. أنت يا ساكن السماء ، ومثقال الميزان لا تتحسول ، يا خيط الميزان لا تتذبذب .. ان السيد العظيم يأخذ مما ليس له بمالك وينهب واحد .. ان فى بيتك ، قدحا وثلاثة أرغفة وما الذى يمكن أن تصرفه لاطعام عملائك .. مع ان الانسان سيموت مع خدمه ؟

فهل ستكون رجلا مخلدا ؟

أليس من الخطأ .. ميزان يميل وثقل ينحرف .. ورجل مستقيم يصير معوجا ؟ تأمل ان العدل يفلت من تحتك .. وذلك لأنه أقصى عرفانه .. فالحكام يشاغبون ، وقاعدة الكلام تنحاز الى جانب .. والقضاة يتخاطفون

ما اغتصبه ؟ .. ومعنى ذلك انه محرف الكلام عن دقته
يخرجه عن معناه ؟ .. فمانع النفس يتلاشى على الأرض ..
وذلك الذى يأخذ راحته يجعل الناس يلهثون .. والبلدة
فيضان لنفسها .. والمتصف مشاغب ، ..

● ثم قال المدير العظيم للبيت « رثوى » هل تعتقد
فى قلبك أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمى ؟!

قال الفلاح : ان كيال أكوام الغلال يعمل لمصلحته
الشخصية .. وذلك الذى يجب عليه أن يقدم حسابه
تاما يجور على متاع غيره ، ذلك الذى يجب عليه أن يحكم
بمقتضى القانون يأمر بالسرقة .. فمن ذا الذى يكبح
الباطل .. ؟ وذلك الذى يجب عليه أن يقضى على الفقر
يعمل بالعكس .. ويسير الانسان الى الأمام فى الطريق
المستقيم بوساطة منحنيات .. وآخر ينال الشهرة بالاضرار
فهل تجد لنفسك هنا أى شىء ؟ .. ان اصلاح الخطأ
قصير ولكن الضرر طويل ! ..

والعمل الطيب يعود ثانية الى مكانه بالأمس ..
والواقع أن الحكمة تقول :

« عامل الناس بما تحب . أن تعامل به » .. وذلك
كشكر انسان على ما عمله ، وكمنع شىء قبل تشكيكه ..
مع ان الأمر قد أعطى للصانع .

.. يتمنى الشر للأمير : .. ليت لحظة تجري ..

فتجعل كرمك رأسا على عقب ، وتفتك بطيورك .. وتودى
بدواجنك الماثية ، فالمبصر قد غش بصره والمستمع قد صم
.. وذلك الذى كان يجب أن يكون مرشدا أصبح
مضللا .

لسان الرجل .. قد يكون سبب تلفه

.. » تأمل انك قوى شديد البأس .. وقلبك
مفترس .. وقد تخطتكم الرحمة .. ما مقدار حزن الرجل
الفقير الذى قضى عليه بجوارك .. ومثلك كرسول المتمسح
بل انك تفوق « ربة الوباء » فاذا كنت لا تملك شيئا فهي
لا تملك شيئا كذلك .. واذا كانت لا تدين بشيء .. فكذلك
أنت لا تدين بشيء .. واذا كنت لا ترتكبها فهي لا ترتكبها
والذى يملك خبزا يجب أن يكون رحيما ، ان عمل الشاكي
طويل . والفصل فيه يسير ببطء .. ويتساءل الناس
ما معنى ذلك الرجل الذى هناك .. كن معينا حتى تظهر
قيمتك واضحة .. تأمل ان مسكنك قد أصبح موبوءا ..
اجعل لسانك يتجه الى الحق ، ولا تضل .. ان لسان
الرجل قد يكون سبب تلفه .

» لا تقل الكذب واحترس من الموظفين . ان قول
الكذب نباتهم ، ومن المحتمل أن يكون خفيفا فى قلوبهم .
وأنت يا أكثر الناس علما ، هل تريد أن تعرف شيئا وأنت
يا من تقضى حوائج الماء تأمل فانى أملك مجرى ماء من

غير سفينة .. وأنت يا مرشد كل غارق غرقت سفينته
.. نجنى .. نجنى ..

من ذا الذى يكبح الشر :

« ان أصدق وزن للبلاد هو إقامة العدل .. ولا
تكذبين وأنت عظيم .. ولا تكونن خفيفا وأنت رزين ..
ولا تقولن الكذب فانك الميزان .. ولا تنكمش فانك
الاستقامة أنظر انك على مستوى واحد مع الميزان فاذا
انقلب انقلبت أيضا . ولا تغتصبين بل اعمل ضد المغتصب
وذلك العظيم ليس عظيما ما دام جشعا . ان لسانك هو
ثقل الميزان . وقلبك هو ما يوزن به ، وشفتاك هما
ذراعاه . فاذا سترت وجهك أمام الشرس فمن ذا الذى يكبح
الشر ؟

اجعل عينيك .. تتاملان :

« كن صبوراً حتى يمكنك أن تصل الى العدل .
أكبح جماح اختيارك حتى أن الشخص الذى تعود أن يدخل
بسكون يمكنه أن يكون سعيدا . » مع أنه لا يوجد انسان
طائش يجيد عملاً ، ولا متسرع تطلب مساعدته .. اجعل
عينيك تتاملان ، وعلم قلبك ولا تكونن شديدا بمقدار
قوتك .. خوفاً من أن يحقق بك المكروه .. أما القاضى
الذى تجب معاقبته فانه يكون نموذجاً للمجرم .. تأمل
أيها الأحق فانك قد ضربت . تأمل أيها المغفل فانك

سئلت .. وأنت يا نازح الماء تأمل فانك قد دفنت ..
وأنت يا مدير السكان لا تجعل قاربك يرتطم .. وأنت
يا معطى الحياة لا تؤذ أحدا ويا مخربا لا تسبب خراب
أحد .. ويا أيها الفتى لا تكون كحرارة الشمس .

والآن هل سأقضى طول اليوم فى الشكوى الرابعة ؟

لا تكتم انفاسى :

لا تحرمن رجلا رقيق المال من أملاكه ، ولا ضعيفا
تعرفه ، فان أملاك الرجل الفقير بمثابة النفس له .. ومن
يغتصبها يكتم أنفه .. تأمل فان ما تفعله هو أنك تنحاز
الى اللص . والانسان يضع أمله فيك ولكنك أصبحت
معتديا لقد نصبت سدا للفقير لتحفظه من الفرق ولكن
تأمل فان تياره لسريع .

ليس الخوف منك ..

يجعلنى اشكو اليك

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو مرة ثانية فقال :
يا أيها المدير العظيم للبيت الملكى ، يا سيدى ! ان الناس
يتحملون السقوط بسبب الطمع ، والرجل المختال يعوزه
النجاح ولكنه ينجح فى الخيبة .

انك جشع وذلك لا يتفق معك ، وانك تسرق وذلك
لا يليق بك ، أنت يا من يسمح للانسان بأن تشرف على

قضيته الحقية .. ذلك لأن جوفك قد ملئ .. ولأن مكيال
القمح قد طفح ، فاذا هز طفح وضاع على الأرض .
« ليس الخوف منك هو الذى يجعلنى أشكو اليك .
انك لا تبصر ما فى قلبى » .

« انك تملك قطعة أرضك فى الريف ، ومكافأتك فى
ضياع الملك وخبزك فى المخبز والحكام يعطونك .. ومع
ذلك تفتصب هل أنت لص ؟ هل يؤتى لك بجنود
لتصاحبك عند تقسيم الأرض ؟

« اقم العدل لرب العدل ، الذى أصبحت عدالته
موجودة ، أنت يا أيها القلم وأنت يا أيتها البردية ، ابتعدوا
عن عمل السوء ، وعندما يكون الحق حقا فهو اذن حق
لأن العدل أبدي ، ويذهب مع من يعمل به الى القبر ،
وسيدفن وتطويه الأرض أما اسمه فلن يمحي من الأرض
بل سيذكر بسبب الحق وهكذا عدل الله فى كلمته » .
هكذا كانت سلوكيات مصرى .. عرض مظلته
عرضا أدبيا بأسلوب خارق فلم يهتز خيط ميزان عدل
الحاكم ولم يتذبذب .. فعدل له .

« امنموبى »

يحمل رسالة خاصة للعالم

● الواقع أن امنموبى المصرى كانت له رسالة يحملها الى العالم اذ انه ترك أسلوب النصائح العادية ، فأول ما يلفت النظر فى تعاليمه شيان هما :

تدين هذا المؤلف الشاعر واعتدالة ، والواقع أنه لم يصلنا الى الآن من الكتب المعروفة فى الأخلاق والتعاليم عند المصريين القدامى ما يظهر لنا مثل هذا الروح ولذلك تعتبر تعاليم « امنموبى » من أمتع الكتب وأعظمها قيمة ، ولقد واقتنا تلك التعاليم – بأن الصلاح كان فضيلة وأن التفكير فى الموت والأبدية كان حافزا يدفع الانسان الى أن يسلك الطريق السوى فى الحياة الدنيا مخافة الله ، اذ ان الله • هو الذى يسعد ويغنى ولكن كان التدين فى تظـهر امنموبى يقوم بدور أعظم من ذلك اذ كانت فكرة وجود الله فى نظره هى المستوى الذى وضعه أمامه لفهم الحياة • • فالله هو رب الأرزاق ، ولذلك يجب على الانسان ألا يخاف غيره • وان الكمال لله وحده • • وان الانسان

هو المخطيء والحساب ينتظر المخطيء ، وأن محاولة الانسان الوصول الى الكمال ضرب فى محال والله كذلك عادل ، فيمكن للانسان أن يتوكل عليه . والله يباركه العمل ويحب الخير وكرم الضيافة ولكنه يمقت المايق والغش ، وبعد الموت يكون الانسان بين يدي الله - ولقد كان المثل الأعلى بين الناس فى نظر المنموبى هو الرجل الرزين أى الرجل المتواضع المعتدل فى حياته - ولعمري هل يستخلص الانسان من هذا التواضع الذى أظهرم لنا المؤلف - وهو على طرف تقيض من حكماء العصور الماضية اذا قسناه بهم - انه يصور لنا العقلية المصرية فى العصر الذى أخذت فيه البلاد تنحدر طبقا للضرورات السياسية التى فرضت عليها فى ذلك العهد .

وقد كان أمنموبى يسير على نهج معين اذ كان يبحث على الناحية الانسانية العملية فى الحياة فتراه يشير الى واجبات الموظف . . فلا بد أن يكون عادلا مستقيما رحيمًا وأن يكون متسامحا مع الفقير ، ويحذر من الغش فى الدفاتر . . ولذلك نجد حكيمنا يضع قواعد السلوك الانسانى مع أخيه الانسان خارج أعماله الرسمية . ويحضر على الا يختلط الانسان الا بمن هو فى شاكلته ويحضر أمنموبى على أن يكون الانسان لين الجانب مع المرأة الفقيرة التى تجمع الجيوب فى حقول الغلال وأن يكون حسن الضيافة للغريب ، وأن يكون رحيمًا بالأعمى والمقعذ والقرم .

— وفضلا عن ذلك يجب على المرء ألا يتناول على شريف وألا يعارض عظيمًا وإن أساء معاملته وحتى إذا لطمه فليضع يده على صدره فإن العظيم سيصبح فيما بعد مهادنا له ، وليعمل على احترام الناس له باعتقال لسانه عن قول السوء ، وليكن بصيرا وحذرا ، وهذا شيء يسير .. مما جاء في تعاليم « امنموبى » وفيها يرى القارىء الفرق الشاسع بين ما كتبه ، وبين ما كان يكتبه حكماء العصور التى سبقتة .

فلا غرابة إذن أن تعد هذه التعاليم بحق مصدرا عظيما للأمم المجاورة وبخاصة سوريا وفلسطين التى كانت تعتبر مصر الأم التى ترضعها لبيان العلم والمعسرة ولنستعرض بعد ما قاله امنموبى :

● الحزم فى المناقشة :

لا تشتبكن فى جدال مع أحمق

ولا تخزنه بالألفاظ

تأن أمام متطفل ، وأعرض عمن يهاجم

ونم ليلة قبل التكلم

لأن العاصفة تهب مثل النار فى الهشيم .

والرجل الأحمق فى ساعة غضبه

يجب أن تنسحب من أمامه وأتركه لمكائده أو

سامحه فيها .

والله يعلم كيف يجيب ويجزيه .
واذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأشياء في قلبك
فإن أولادك سيبصرونها .

● الرجل الأحمق والرجل الحكيم :

أما الرجل الأحمق الذي لا يخدم الناس
فمثله كشجرة نبتت في الغابة
ففي لحظة تغمد خضرتها
ويكون مصيرها في مرفأ الأخشاب
أو - تنقل بعيدا عن مكانها
والنار كئنها ومشواها

أما الرجل الحكيم حقا فهو الذي يضع نفسه جانبا
حيث يجب

فمثله كشجرة باسقة في الحديقة
تنمو يافعة وتضاعف ثمرتها .
فتقف أمام سيدها
وثمرتها حلوة وظلها ظليل
وينتهي مصيرها في الحديقة

● البحث وراء الثروة :

لا تندفعن بقلبك وراء الثروة
إذ لا يمكن تجاهل الحظ
ولا تضيع أفكارك في أمور في الخارج

فكل انسان مقدر له ساعته
ولا تجهدن نفسك فى طلب المزيد
عندما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك
لأن الثروة لو أتت لك من طريق السرقة
فانها لا تمكث معك سواد الليل
اذ عند مطلع الفجر لا تكون فى بيتك بعد .
وسترى مكانها ولكنها لن تكون هناك
فربما قد فغرت الأرض فاها وتأخذها وتبتلعها
وتغوص بها فى العالم السفلى
أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا بقدر حجمها .
ثم تغيض بنفسها فى مخزن الغلال
أو أنها تعمل لنفسها أجنحة مثل الأوز
وتصعد الى السماء
- لا تفرح من أجل ثروة أتت من طريق السرقة .
ولا تثنن من الفقر
فان قارب الشره يعوقه الطين
وقارب الرجل الرزين يقلع مع النسيم
ويجب عليك أن تتعبد لله
وقل امنحنى السلام والصحة
وسيمنحك ما تحتاج الى طول الحياة
وتامن الخوف

● لا تقل شرا :

.. ضح طيبتك فى جوف الناس وفى أعماق
نفوسهم

حتى يحييك كل انسان
لأن الانسان يرحب بالخير
احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة
وبذلك تصبح المفضل عند الآخرين
وستجد مكانك بين الناس
وطعامك من خير نعمة ربك
وستخدم فى شيخوختك وتوارى فى كفنك
وستكون فى مأمن من بطش الاله
لا تصيحن : جريمة فى وجه انسان !
عندما يكون سبب فراره خفيا

واذا كنت مستمعا لتحكم فى شىء سواء أكان خيرا
أم شرا

فافعل ذلك فى الخارج حيث لا تسمع
وضع تقريرا حسنا على لسانك
أما ما قبح فأخفه فى بطنك

● تجنب الرجل الأحمق وسبله

لا تخالطن الرجل الأحمق
ولا تدن منه لتحادثه

واحفظ لسانك سليما من مجاوبة رئيسك
واحذر من أن تدمه
ولا تجعله يرمى بكلامه ليحبلك
ولا ترخ العنان لجوابك
ويجب أن تناقش الجواب مع رجل على شاكلتك
واحذر الاندفاع في النطق به
فإن الكلام يكون سريعا عندما يؤذى القلب
أكثر من الريح أمام الماء كالزوبعة التي تسبق
المطر

فالإنسان يبني ويهدم بلسانه .
ومع ذلك فانه يقول قولا مفرعا
ويحيب بجواب يستحق الضرب
لأن حمولته الشر .

ويقوم بسياسة حول كل العالم ويخلق الشجار
بين الناس

غير أنها مثقلة بالألفاظ الكاذبة
ومثله كمثل الذي ينسج في الكلام
يروح ويغدو بالمشاحنة
وعندما يأكل ويشرب في الداخل
يسمع جوابه في الخارج
والواقع أن يوم اظهار جريمته
يكون بؤسا على أطفاله

● الأخلص :

لا تصافحن قرنك الأحمق على الرغم منك
ولا تحزنن قلبك من أجل ذلك
ولا تقولن له السلام عليكم رياء
عندما يكون فى باطنك حقد أو تدبير فظيعة
لا تتكلمن مع انسان كذبا
فذلك ما يمقته الله
ولا تفصلن قلبك عن لسانك
حتى تكون كل طررك ناجحة
وكن ثابتا أمام غيرك من الناس
لأن الناس فى مأمن فى يد الله
وإن الممقوت من الله من يزور فى الكلام
لأن أكبر شئ يكرهه هو النفاق

● كاتب الحسابات الطيب

لا تضرن رجلا بجرة قلم على بردية
لأن ذلك يمقته الله
ولا تؤدين شهادة كذبا
ولا تزحزن انسانا آخر بلسانك
ولا تفرضن ضريبة على شخص لا يملك شيئا
ولا تستغلن قلمك فى الباطل
واذا وجدت فقيرا، عليه دين كبير،
فقسمه ثلاثة أقسام

رسامحه في اثنين وأبق واحدا
وستجد ذلك سبيلا للحياة
وستضطجع بالليل وتنام نوما عميقا وستهدأ
وفي اليوم التالي ستجد أن ما فعلته أخبار سارة على
الأسنة .

وخير للانسان مدح الناس وحبهم له . .
من الثراء في المخازن
وخير للانسان أكل الحبز مع قلب سعيد
من الثراء مع الكدر

● الكرامة

لا تختبر من شخص
ولا تجهدن نفسك لتبحث عن يده
إذا قال لك « خذ رشوة »
اذ ليس بالرجل الهين المسنهر من يقبله
ولا تكن خجلا أمامه وتحنى نفسك له
ولا تلقين بنظرك الى أسفل
وسلم عليه بضمك وقل له سلام عليك
وعندما يقلع عن ذلك فان موهبتك ستظهر
ومع ذلك يجب ألا تقصيه عندما يقترب منك أول
مرة .

فان أمرا آخر سيقصيه بعيدا عنك

ولا تجعلن كلامك فارغا
حتى لا يتألم قلبك
وقلب الرجل هو حميم ضميره
فاحذر أن تهمله
والرجل الذي يقف بجوار الشريف
يجب ألا يعزف اسمه حقا

● احترام العاهة :

لا تسخرن من أعمى ولا تهزان من قزم
ولا تفسدن قصد رجل أعرج
ولا تحفظن رجلا في يد الله
ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون قد تعسدى
الحدود

اذ الواقع أن الاتسان من طين « وماء »
والله هو مسويه

وهو يهدم ويبنى كل يوم
وهو يضع ما يريد
ما أسعد الذى قد وصل الى الآخرة
وهو آمن فى يد الله
لا تسألن عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها فى
الحقل .

ولا يفوتنك أن تتذرع بالصبر لاجابتها
ولا تمرن على غريب باناء طعامك

بل اجعله يتضاعف أمام اخوانك
وان الله يحب سعادة المتواضع
أكثر من احترام الشريف
احذر أن تسلب فقيرا بائسا
وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيب الجناح
ولا تمدن يدك لتمس رجلا مسنا بسوء
ولا تسخرن من كلمة رجل هرم
ولا تجعل نفسك رسولا في مهمة ضارة
ولا ترغبين في مصاحبة من قد أداها
ولا تصحبين مع من قد أذيت
ولا تردن عليه بجواب لتجعل الحق في جانبك
ومن فعل فاحشا فان المرقأ يفلت منه
وأرضه المبللة تحمله بعيدا
وانت أيها الرجل الأحق • ما حالك ؟
انه يصيح وصوته يصل الى عنان السماء
وانت أيها القمر •
جسرك الدفة حتى يمكن للرجل الخبيث أن يعبر
الينا

لأننا لا نرتكب ما ارتكبه
أرفعه ومد يدك اليه
وأسلمه الى ذراعي الاله
وأملأ جوفه بخبزك
حتى يشبع ويعي ؟

وهناك شيء آخر محبوب الى قلب الاله
هو الثانى قبل الكلام
- تأمل لنفسك فى هذه التعاليم
فانها تمتع وتعلم
وهى تفوق كل الكتب
فهى تعلم الجاهل
فاذا قرئت امام الجاهل
اصبح طاهرا بها.
فاملا نفسك بها وضعها فى قلبك
لتكون رجلا يعرف تفسيرها
وتكون مفسرا لها وكمعلم
أما من حيث الكاتب المدرب فى وظيفته
فانه سيجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط
وهذه نهايته

« كتب سنو ابن الكاهن بحو »

من مقدمة هذه التعاليم تعلم أن أمثومنى هو ابن
كاتحت « وتزوج امنوبى من توزيرى . وأنجب « حور
ماخر » وهو الذى كتب له أبود هذه التعاليم كعادة مؤلفى
التعاليم عند قدماء المصريين . ويحمل حور ماخر ألقابا
دينية كثيرة نربطه بمعبد أخميم غير أن هذه الألقاب
نادرة الوجود فى الوثائق المصرية الأخرى .

وتقسيم متن هذه التعاليم الى أبيات من الشعر
ليس بالأمر العادى وعندنا مثل واحد معروف من هذا
النوع من الأسرة الثانية عشرة وأعنى بذلك قصيدة
سنوسرت الثالث المكتوبة فى ورقة اللاهون وكذلك عثرنا
على مثلين فى الديموطيقى . الأول حوالى القرن الثانى
قبل الميلاد ، وهى قصيدة هجائية والثانى يرجع تاريخه الى
القرن الأول بعد الميلاد وهو مكتوب فى ورقة ليدن الخلقية
وتقسيم التعاليم الى فصول شئ فريد فى المتون
الهيراطيقية غير أنه كرر فى ورقة ليدن نفسها الآنفه
الذكر وتحتوى على خمسة وعشرين فصلا فى الحكم
الخلقية .

● ولحسن الحظ وصلت إلينا كل هذه التعاليم
كاملة من أولها الى آخرها فكان ذلك مساعدا لنا على قدر
المستطاع أن نصل الى غايتها :

نظرة .. لها مكان بين صفحات الكتاب

هناك حقيقة لا بد من الاعتراف بها وهي أن سكان شبه الجزيرة العربية كانوا على اتصال دائم بمصر في كل وقت .. فلا بد أن يكونوا قد تأثروا بمدنيتها وآدابها .. كما لا بد وأن يكونوا قد تأثروا بالمدينة الكلدانية وآدابها .. وبالمدينة الآشورية وآدابها .. وأثر المدينة الفارسية والأدب الفارسي في المدينة العربية والأدب العربي معروف ومشهور .. وأثر المدينة اليونانية والأدب اليوناني .. أما آثار المدينة المصرية والأدب المصري .. فهو الذي أثر على الكل وهو زارع المدن في كل الحضارات .. يشهد بذلك كل ما بين أيديهم حتى لغتهم ..

ولكن تعال معي نلمس حاسة الفن عند المصري القديم .. ألا وهي حاسة الشعر .. لكي نعرف مدى امتداد الأسلوب الشعري من مصر إلى الخارج .. فمن بين النصوص .. تعبير عن عواطف الحب من قلب فتاة تقول :

أخي الحبيب ..

ان قلبي معلق بحبك
فاسمع لما أقول
وانظر ماذا فعلت
لقد ذهبت أنصب فخى بيدي
وانت تعرف ان جميع طيور بونت
تخط في مصر معطرة برائحة المر
فأول هذه الطيور
هو الذي خط على فخى
وضرب في طعمي
بينما كانت تفوح منه روائح بونت
وكانت مخالبه مغطاة بالصمغ الذكي
افيكون لي أن تقتنصه من الفخ معي
معي انت وحدك ؟
كي تسمع شكوى طيرى المعطر برائحة المر
واية غبطة لي ..
ان تكون معي اذ أنصب فخى
لقد صاح الطير وهو في الفخ
ولكن حبك ملك على مذاهبي
فلم يدعني أفكر في أخذه
فسأجمع فخى وأدوات صيدى
لأنى لن أصيد شيئاً
رب .. ماذا أقول لأمي

اذ أعود اليها خالية اليدين
وقد ألفت أن تراني أحمل اليها الطيور كل يوم
ستقول أمي .. ماذا فعلت بفحك
فهل من جواب أجيب به
غير اني كنت أسيرة حبك !؟

انها القبله منك
هي التي يحيا لها قلبي
فان أنا ظفرت بها
فليكتب آمون أن تكون لي الى الأبد

أخي الحبيب .. اليك أفضى بذات نفسي
ان الأمنية التي يخفق بها قلبي
هي أن أصبح قوامة على شئونك
وربة لدارك
وان تستند ذراعك الى ذراعي

أخي
إذا تحول حبك عني ..
فسأقول لقلبي ..
أين أخي .. بعيد الليلة عني
وسأكون كائنني دفنت في قبري
لأنك ؟ أنت العافية وأنت الحياة .

هكذا غرم المصريون القدماء بالصيد في كل مناظرهم
.. فنجد بعد آلاف السنين منها .. يقول قيس بن ذريح:

برت بنبيلها للصيد لبني وريشت ..
وريشت أخرى مثلها وبريت ..
فلما رمتني اقصدتني بسهمها ..
وأخطأتها بالسهم حين رميت ..

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

خليلي ما كانت تصاب مقاتلي ..
ولا غرتني حتى وقعت على نعم ..
خليلي حتى لف حبل بخادع ..
موني اذا يرمى صيود اذا يرمى ..

وهناك المحب الذي يشكو اعراض المحبة وصددها
له .. ثم يفكر في ألوان من الحيل عسى أن يظفر برويتها
فيقول :

سارقد في سريري متهما

فيعودني جيرانى

وتعودني أختى معهم

وتضحك أختى من أطبائي

لأنيا تعرف دخيلة مرضى

وتمنى المحب أن تزور حبيبته اذا رقد في سريره

مريضا أو متهما ..

وهذا النوع شائع في الشعر العربي .. أذكر منه
قول الشاعر قيس بن ذريح :

عيد قيس من حب لبني ولبني ..
داه قيس والحب داه شـديد
واذا عادني العوائد يوما ..
حالت العين لا أرى من أريد
ليت لبني تعودني ثم أقضى ..
أنهنا لا تعود فيمن يعود

ثم يستمر المحب والشاعر المصري القديم .. فيقول
إذا لم ينجح في حيلته تلك فسيحتال ليدخل عند حبيبته
مع زوارها .. ثم وكأنه لم ولن ينجح في هذا .. فيقول:
دار أختي !!

ليتني أكون على بابها
فإن أغضب ذلك أختي
فاني على الأقل سأسمع صوتها الغاضب
وسأكون أمامها كالطفل يرتعد فرقا .

وها هو عمر بن أبي ربيعة بعد آلاف السنين يقول :
ليت حظي كطرفه العين منها
وكثير منها القليل المهنا
أو حديث على خلاء يسلي
ما يجن الفؤاد منها ومنها

كسبرت رب نعمة منك يوما
أو أراها قبل الممات ومنسا

وها هو جميل بن نعيم . . . يتمنى الكلمة الواحدة . . .
ولو كانت (لا) أو الأمر الخائب أو النظرة العجلى ينقضى
عليها حول كامل :

واني لأرضى من بشينة بالذى
لو أبصره الواشى لقرت بلابله

بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى . . .
وبالآمل المرجو قد خاب أمه

وبالنظرة العجلى وبالحول ننقضى
أواخسره لا. نلنقى وأوائله

ثم يقول :

ألا ليتنى أعمى وأصم تقودنى
بشينة لا يخفى على كلامها

ثم يقول :

من جبهها أتمنى أن يلاقينى
من نحو بلكتها ناع فينعاها

كيميا أقول فراق لا لقاء له
وتضم النفس بأسا ثم تسلاها

ثم يقول :

ولو تمسوت لراعنتى وقلت ألا ..
يابؤس للمسوت ليت الموت أبقساها

ولكن شاعرنا المحب المصرى بعد أن كان يكتفى
بأن يكون بوابا عاديا يترقى فى تمنياته .. فصار سماعه
صوت حبيبته لا يكفيه .. فهو يقول :

ولكن يارب !!

لم لم تجعلنى رقيقتها السوداء

تلك التى تقيم معها

فانى اذن كنت أمتع عينى

برؤيتها ورؤية جمالها وندرة جسدها

وهنا يقول عمر بن أبى ربيعة .. حكى عندما نظر
فى الطواف الى امرأة وقعت من نفسه فكلما .. فلم ترد
عليه .. ورأى الهواء يلعب أذيال ثيابها فقال :

الريح تسحب أذيالا وتنشرها

• ياليتنى كنت ممن تسحب الريح •

• كما تجر بنا ذيلا فتطرحنا ..

• على التى دونها مغبرة شـوح •

ثم يقول المحب المصرى القديم ..

سأركب النيل نازلا مع التيار

وسامضى مسرعا
وباقة من الريحان على كتفى
وساوصل الى مدينة حياة الأرضين
وهناك أقول للاله بتاح رب العدل
ليت أترى الليلة حبيبتى !
ان النهر لخمير !
وان بتاح لغابة !
وان سخمت لبردية !
وان نفر توم لأزهار !

وهنا يسبح المحب فى بحر من الخيال لأنه ركب
النيل الى حبيبته فأخذته نشوة الفرح فصار النيل فى
نظره خمرا وصارت المناظر الطبيعية تشبه سحرا صنعتها
الآلهة .. فالغاب المنتشر على ضفاف النيل والبردى
والأزهار كلها ليست نباتا .. وانما هى آلهة تجمل
الطبيعة فى عينيه .. وتشترك فى تحريك النشوة فى
نفسه .. ويجب الاله رجاءه وتأتى حبيبته فى موعد يضربه
لها فيقول :

حينما أرى حبيبتي قادمة
يخفق قلبى
وتتحرك ذراعى لتطويقها
وأخس فى أعماق نفسى

كان السعادة الأبدية تشملني
ثم اذا دنت مني حيتني ولمستني
وفتحت ذراعها لي ..

شعرت كان أزكى روائح بلاد العرب
تغمرنى ..

ثم اذا دنت شفتا حبيبتى
وقبلتنى ..

فذلك لي هو السكر .. من غير مسكر .
هذه المعانى كلها كثيرة فى الشعر العربى مع تنوع فيها
.. فالشاعر المصرى يقول .. ان قبلة من حبيبته تسكره
من غير مسكر .. وقيس بن ذريح ينهج مثل نهجه ..
فيقول :

وللهائم العطشان رى بريقها ..

وللمرح المختال خمر ومسكر

وعمر بن أبى ربيعة يحوم حول هذا المعنى فيقول

من يسقى بعد الكرى بريقتها

يسقى بكأس ذى لذة خمر

ويقول :

فلثمت فاهها آخذا بقرونها ..

شرب النزيف يبرد ماء الحشرج .

وبشار بن برد يقول :

حوراء ان نظرت اليك ..
سقتك بالعينين خمرا
وكان رجع حديثها
قطع الرياض كاسين زهرا
وكان تحب لسانها
هاروت ينفت فيه سحرا

فهو يرى في نظر حبيبته خمرا مسكرة وفي حديثها
سحرا .. بينما الشاعر المصري القديم وقيس بن ذريح
وعمر بن أبي ربيعة .. يرون الخمر والاسكار في العناق
والريق .

هذه الأمثلة من الشعر العربي .. لم نوردتها الا
لندلل بها على أن كثيرا من المعاني التي وضعها الشاعر
المحب في قصيدته ترددت من بعده بزمان لا يقل عن ألفي
سنة أو أكثر .. ومازال يتردد الى اليوم في الشعر
الحديث بحيث لو أن شاعرا عصريا جعل من قصيدة
شاعرنا المصري قصيدة عربية لما احتاج الا أن يخرج
منها الآلهة وتسمية الحبيبة اختا .. لكي تكون قصيدة
عصرية .. كما أن مخاطبة الحبيبة بكلمة الأخت .. أو
شقيقة الروح .. لا ينبو عن الذوق العصري اذا وضع في
صيغة فنية مقبولة .

فذاك فن دل ايضا على رقة احاسيس واساليب
المصرى القديم صاحب الحضارة التى جذبت انظار العالم
قديما وحديثا . .

بتاح حوتب - مقبرة

من مقابر سقارة الهامة شيدها بتاح حوتب له
ولأبيه أخت حوتب وتمتاز بين مثيلاتها من مقابر سقارة
والدولة القديمة بما وصلت اليه نقوشها من جمال وروعة
وما حوته من تفصيلات فى مناظر الحياة اليومية فى
الدولة القديمة . . قل أن نجدها فى مقبرة أخرى وبخاصة
فى منظر الصيد ومنظر تجميل صاحب المقبرة ومناظر
لعب الأطفال . . كما نجد فيها أيضا رسما للرسام الذى
رسمها وقام بعمل نقوشها واسمه فى عنخ بتاح نراه
يجلس فى قارب وأمامه طفل صغير يناوله ماء ليشربه
وأمامه لقبه رئيس الفنانين . . ويعتقد الكثيرون من علماء
الآثار المصرية . . أنه من المحتمل جدا أن صاحب هذا
القبر هو نفس الوزير بتاح حوتب مؤلف بردية الحكم
المشهورة باسمه فى الأدب المصرى القديم .

أمنموبى

أحد حكماء المصريين الذين عاشوا حوالى القرن
العاشر قبل الميلاد ولم يكن ممن تمتعوا بالمناصب الكبرى

اذ كان يشربفعل وظيفة ناظر على مشونة الحبوب فى
ابيدوس .

وقد كتب حكمه الخالية الى ابنه على هيئة وصايا
ونصائح . . لتعليمه كيف يجيب على سؤال من يسأله . .
وكيف يكتب تقريراً لرئيسه ولكى ترشده الى سبل الحياة
وتجعله يسعد على الأرض .

ولهذه الحكم شهرة كبيرة لأن أكثر علماء الآثار
الذين دزسوها يعتقدون أنها أصل سفر الأمثال فى
التوراة .

. . وقد كتب وصاياها هذه فى بردية امنموبى . .
التي اشتراها العالم الانجليزى «واليس برج» عام ١٨٨٨
ونشرها وعلق عليها أكثر من عالم . . والبردية مترجمة
فى كتاب . . سليم حسن الأدب المصرى القديم . . الجزء
الأول ص ٢٣١ - ٢٨٠ القاهرة ١٩٤٥ .

خاتمة

هذا هو الأدب والسلوك المصرى القديم .. القدم
أنواع الأدب فى العالم .. تميز بأصالته حين نشأ فى
أرض مصر .. خلقه شعبها .. جاء وليدا لظروف هذا
الشعب ومعبرا عن مشاعره .. هذا الأدب المصرى
وسلوكياته وتعاليمه .. بحكم توغله فى القدم .. لم يأخذ
من غيره .. وإنما وضع الأساس الذى اهتدى به الأدب
فى بعض الأمم القديمة .. فقد غذى الأدب المصرى الأدبين
العبرى والاغريقى .. وأعانهما على أن يلعبا دوريهما فى الحياة
الأدبية فى الزمن القديم .

.. وكنا لا نستطيع أن ندرس معا سلوكيات المصرى
وتعاليمه من خلال الأدب المصرى القديم الا اذا تلوقنا معا
جمال أساليبهم .. كما تعرضنا لأمثلة متنوعة ومختلفة ..
ولعل قد تبين لك عزيزى القارىء من سياق هذه الأمثلة ..
كيف كان المصرى القديم يعنى بالأسلوب القوى الجميل ..
والسلوك الطيب .. الذى يجد فيه القارىء غذاء لروحه
واشباعا لنفسه .. ووجدنا معا كيف استمد هذا الأسلوب

القوى عدوئته وجماله من بساطته التى لا تكلف فيها ..
تلك البساطة التى تجعله ينساب الى النفوس فيستهويها
.. والى الاسماع فيستولى عليها .. ووجدنا معا ان هذا
الاسلوب يشهد ويقوى فيما جل من الامور .. ويرق
ويلين فى التعبير عن مختلف الاحاسيس والعواطف
وما تجيش به النفس من مشاعر .

ولقد كان الاسلوب الجميل مطلوباً فى جميع
المصور .. يتقنه الكاتب .. ويعمل على تحقيقه فى جميع
ما يكتبه .

فقد ورد فى ديباجة اقوال حكيمنا بتاح حتب
المشهورة .. وصف يقول فيه :

« انها الاقوال التى صيغت فى اسلوب جميل ووردت
على لسان الوزير .. لكى يكون فيها ثقافة .. ومعرفة ..
وتعليماً لأصول السلوك والحديث الممتع » .

محمد عبد الحميد بسيونى

المراجع

- دكتور عبد العزيز صالح - الشرق الأدنى القديم
- مصر والعراق الطبعة الثالثة ١٩٧٩ .
- دكتور عبد العزيز صالح - التربية والتعليم فى
مصر القديمة - القاهرة ١٩٦٦
- سليم حسن . . الأدب المصرى القديم .
- شارف (الكسندر) ترجمة عبد المنعم أبو بكر -
تاريخ مصر ظهرت الترجمة العربية عام ١٩٦٠ .
- ERMAN, A., and RANKE, H., Aegypten und
Aegyptisches Leben in Altertum, 1923.

الفهرس

مقدمة	١١
الآداب المصرية	١٣
السلوك وآداب المتوز المصرية	٢٧
الأدب المصرى بين حلاوة التذوق وسحر البيان	٣٧
مكانة المصرى.. ومقدار ذكائه	٥١
أخلاق قدماء المصريين من كتاباتهم	٥٩
بتاح حتب.. وأقدم مصدر فى أدب العالم	٧٣
«أمنموى» يحمل رسالة خاصة للعالم	١٠٣
نظرة.. لها مكان بين صفحات الكتاب	١١٧
خاتمة	١٢٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٠٢٥ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5311- 7

■ محمد عبد الحميد بسيونى

هذا الكتاب.. يضرب على وتر السلوك والأخلاق عند قدماء المصريين من خلال نصوصهم وتعاليمهم ونصائحهم.. فكيف استطاع مصريو السبعة آلاف سنة أن يرسموا نهجاً سلوكياً طيباً نابعاً عن أصالة أخلاقية ضارية فى عروق هذا الشعب.. هذا من جهة.. من جهة أخرى كانت لتجارب المصرى الكثيرة واحتكاكه المباشر بالمشاكل الأثر الكبير فى رسم سلوك طيب لمن بعده.. ولكن.. لا يزال المعروف حتى الآن عن سلوك وأذواق وآداب المصريين.. أقل مما كان ينتظر من أهله ذوى الكفايات الواسعة.. فى عالمى الذوق والأخلاق والفكر الأدبى.. ذلك يدفع إلى الاعتقاد بأن أرض مصر لاتزال تحتفظ بكنوز أخرى.. قد تكشف عن الأيام.

Ismaouhca Alexandria

مكتبة



0334279

ة الأسرة



رمزى جنيه وربع
بمناسبة

باز الفراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
عربية العامة للكتاب